روائع المسرح العالمى

٤٣

بلياس وميليزاند

تأليف : موريس ماترلنك

ترجمة : الدكتور محمد غنيمى هلال

مراجعة : يحيى حقى

تقديم : الدكتور محمد مندور

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

الى أوكتاف ميربو

آية اقرار بالصداقة والاعجاب

والاعتراف العميق بالجميل .

مقدمة

« بلياس وميليزاند » المسرحية الرمزية

بقلم الدكتور محمد مندور

حوالى سنة ١٨٩٠ كان المذهب الطبيعى بزعامة أميل زولا قد أخذ يستنفد أغراضه فراح رجال الأدب والفن يبحثون عن اتجاه أو مذهب جديد يشبع حاجة النفوس الباحثة دائما عن الحق والجمال ، وذلك لأن المذهب الطبيعى كان قد استكمل فى الواقع ما ابتدأه المذهب الواقعى بفضل بلزاك ومدرسته من دراسة روابط الحياة بالمجتمع وأعراض تلك الحياة وبخاصة أعراضها المريضة الشريرة ، وذلك بعد أن أدخل اميل زولا على الواقعية المنهج العلمى فى تفسير ظواهر الحياة والسلوك واستعان باكتشافات الطبيب كلود برنار فى علم وظائف الأعضاء والطب التجريبى مما دفع زولا ومدرسته الى العدول عن لفظة الواقعية الى لفظة الطبيعية كاسم لمذهبهم الذى كان فى الواقع تطويرا للواقعية ومواصلة للسير فى نفس الاتجاه الذى بدأته .

ولما كانت مذاهب الأدب والفن ليست كالثياب التى ينضوها الأدباء والفنانون عندما تبلى أو يتخطاها الزمن ليجدوا عنها بديلا معدا بل لابد لكل مذهب جديد من أن تكون له بذور سابقة تنبت فى بعض النفوس الخصبة ثم تزدهر عندما يواتيها الجو المناسب حتى تستوى على سوقها فتعم وتنتشر وتتأصل ويصفو جوهرها وتتحدد معالمها عندما يحس رجال الأدب والفن أنهم قد وجدوا فيها ضالتهم المنشودة وما يشبع حاجاتهم الروحية والجمالية — فاننا نرى المذهب الرمزى تظهر بذوره الأولى عند بودلير وفرلين والشاعر البلجيكى فرهارن قبل أن يصل المذهب الطبيعى الى حد الأزمة التى أخذت تطفىء وهجه ، وان تكن الرمزية لم تزدهر وتطغى وتكاد تستحوذ على معظم الانتاج الأدبى فى الآداب الفرنسية اللغة الا فى الفترة التى تقع بين ١٨٩٠ ، ١٩٠٠ . وقد وصل فيليبه دى ليل دادام ومالارمين وميريو وأضرابهم بهذا الاتجاه الى مستوى المذهب فى الشعر الغنائى ، كما وصل به موريس ماترلنك الى نفس المستوى فى مجال الدراما وبخاصة فى مسرحيته « بلياس وميليزاند » التى لا تزال تعتبر حتى اليوم أنموذجا خالصا للمسرحية الرمزية وان يكن ابسن قد سبقه الى الجمع بين الرمزية والواقعية فى مسرحياته .

ولكن ما هى الرمزية ؟ وما الجديد الذى أتت به ؟

ليس من السهل تعريف الرمزية ولا تحديد مجالها ووسائلها على نحو جامع مانع . فالرمز قد يكون بالموضوع أو بالحدث أو باللفظ أو النغم ، ومع ذلك يمكن الاحاطة بأطرافها بايضاح الفكرة الفلسفية التى تكمن خلفها من حيث أنها محاولة لادراك جوهر العالم من خلال نسبية الوجود ، وذلك لتخطى الحقيقة الفردية الى الحقيقة الأسمى التى يحاول الشاعر أو الأديب أن يدركها عن طريق الحدس وأن يعبر عنها عن طريق الايحاء ، فالرمزية تتخطى العلاقات العرضية الهروب القائمة بين الجوهر والعرض لكى تحدد فى وضـوح ومذهبية التقابل القائم بين تكوين الانسان وتكوين العالم باعتبارهما معا انعكاسا للحقيقة الشاملة العميقة الغامضة . وهذه الفكرة الفلسفية هى نفسها التى عبر عنها بودلير تعبيرا شعريا فى احدى قصائده بقوله « ان الألوان والأصوات والعطور تتجاوب فى النفس البشرية ، أى أن معطيات احدى الحواس قد تولد فى النفس البشرية نفس الاحساس الذى تولده معطيات حاسة أخـرى ، حتى نستطيع أن نثير نفس الاحساس عن طريق الصور الحسية المختلفة ، ونستخدمها كمجرد رموز ايحائية على نحو ما يصف

شاعر الهند الكبير طاغور السكون بأنه مشمس ، فالمقصود بهذه الصفة هنا ليس الدلالة على الاشماس بل مجرد الايحاء بالبهجة . ونفس هذه الفكرة الفلسفية هى التى أوحت لبودلير أيضا بأن يقول فى بيت شعر له ان الأشياء تفكر خلاله كما يفكر خلالها ، أى أن هناك تجاوبا بين الطبيعة الخارجية وحالاته النفسية ، فهى تلوح له حزينة أو مشرقة أو راكدة وفقا لحالات نفسه الشعورية .

موريس ماترلنك

تلك كانت حالة الفلسفة الجمالية والاتجاه الروحى عندما أخذ نجم موريس ماترلنك الشاعر المؤلف الدرامى والأديب البلجيكى الأصل يبزغ فى عالم الآداب الفرنسية اللغة باعتبار أن موريس ماترلنك وان يكن فلمنكى الجنس الا أنه كان فرنسى اللسان .

فقد ولد موريس ماترلنك فى مدينة جنت ببلجيكا فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٦٢ ، وتلقى تعليمه فى كلية سانت بارب ، ثم بجامعة جنت حيث درس القانون ، ولكنه مع ذلك انصرف الى الأدب بكليته . وفى سنة ١٨٨٧ نزح الى باريس حيث تعرف بفيليبه دى ليل آدام ، وقادة المدرسة الرمزية فى الشعر الفرنسى . وظل يتردد بين فرنسا وبلجيكا يقيم فى كل منهما

فترة من الزمن حتى توفى فى سنة ١٩٤٩ وهو فى السابعة والثمانين من عمره .

ولقد ابتدأ موريس ماترلنك حياته الأدبية شاعرا حيث نشر سنة ١٨٨٩ أول ديوان له بعنوان « الصوى الدافئة » . ثم مسرحية « الأميرة مالين » التى كتبها أول الأمر شعرا ثم أعاد كتابتها نثرا فيما بعد وقد حياها الكاتب الفرنسى ميربو بمقال حماسى حار عندما عرضت على المسرح ، مما لفت أنظار الجمهور الى موريس ماترلنك الذى كان لا يزال فى مستهل الشوط ، ومما شجع الكاتب على الاستمرار فى الكتابة للمسرح فنشر فى بروكسل مسرحيتين أخريين هما « الدخيلة » و « العميان » . وفى عام سنة ١٨٩١ نشر مسرحية « الأميرات السبعة » . وفى سنة ١٨٩٢ ظهرت رائعته الكبرى « بلياس وميليزاند » التى قامت عليها شهرته العالمية وبخاصة بعد أن أتيح لها مخرج فرنسى جديد اعتنق الرمزية وأصل لها فى الاخراج والتمثيل المسرحيين ، وهو المخرج الذائع الصيت لينين بو مؤسس مسرح « الايڤر » الذى احتضن هذا النوع من المسرحيات الرمزية رغم اختلاف النقاد حوله .

وفى سنة ١٨٩٤ كتب موريس ماترلنك ثلاث مسرحيات صغيرة لمسرح العرائس فريدة فى بابها بسحر سذاجتها وروحها الشعرية الغامرة . وهى : « ألادين وپالوميد » و « الداخل »

و « موت نيتاچيل » . وفى سنة ١٨٩٥ أخذ يكتب دراسات فلسفية ونقدية مثل كتابه عن الشاعر الألمانى ثوقاليس ، وكتابه « كنز المساكين » فى سنة ١٨٩٦ ، وان يكن قد عاد فى نفس العام الى المسرح والى الشعر الغنائى ، فكتب للمسرح « أجلاڤين وسيليست » . وديوانه المسمى « اثنتا عشرة أغنية » . وفى تلك المرحلة أخذت النزعة التصوفية الأخلاقية تطغى عليه فألف كتابه « الحكمة والقدر » ، وفيه يعلق على مسرحياته . وبين عامى ١٨٩٨ ، ١٩٠١ أخرج موريس ماترلنك كتابا يجمع بين الخيال الفلسفى والتاريخ الطبيعى وهو كتاب « حياة النحل » .

ومع فجر القرن العشرين أخذ موريس ماترلنك ينتقل الى مرحلة جديدة فى الفكر والاحساس والاتجاه الفنى تختلف عن المرحلة السابقة سواء فى الفلسفة أو المسرح أو الشعر ، فلم يعد يلجأ الى الرمز للايحاء بحقائق النفس والحياة الدفينة ، وما يكمن خلف مظاهر الحياة والطبيعة من معان وايحاءات ، بل أخذ بعد أن استقر فى فرنسا منذ مطلع هذا القرن — يقترب من واقع الحياة سواء فى المقالات التى جمعها فى سنة ١٩٠٢ تحت عنوان « المعبد المحترق » و « الحديقة المزدوجة » سنة ١٩٠٩ ، « الحياة والأزهار » سنة ١٩٠٧ ، ثم بنوع خاص فى كتاب « الموت » فى سنة ١٩١٢ وفيها جميعا يظهر رد فعل ضد

اتجاهه الأول الصوفى الشديد الايمان بالقدر ، وكذلك الأمر فى المسرحيات التى كتبها فى تلك الفترة مثل « مونا فانا » سنة ١٩٠٩ و « ماريا المجدلية » سنة ١٩٠٩ ، وان يكن قد احتفظ لهذه المسرحيات أيضا ببساطة الأحداث .

وبعد الحرب العالمية الأولى كتب ماترلنك مسرحية عن غزو ألمانيا لبلجيكا سماها « برج ماسترسيليموند » سنة ١٩٢٠ .

هذا ، ولقد ذاع صيت ماترلنك فى انجلترا منذ أن مثلت له فى لندن سنة ١٩١١ مسرحية « الطائر الأزرق » وتبعتها فى لندن أيضا سنة ١٩١٩ مسرحية « بيتروتال » . وفى سنة ١٩١٩ أيضا ظهرت له مسرحية « معجزة القديس أنطوان » ومسرحية « ممرات الجبل » ومسرحيتان أخريان عصريتان هما « السحاب الذى ارتفع » و « قوة الموتى » سنة ١٩٢٣ ، وظل ماترلنك يواصل الكتابة ، وكان من أهم ما كتب بعد ذلك كتابه « حياة النمل » سنة ١٩٣٠ .

هذا ، وقد حصل موريس ماترلنك على جائزة نوبل فى الأدب سنة ١٩١١ .

بلياس وميليزاند

وبالرغم من عدول موريس ماترلنك عن الاتجاه الرمزى

الذى أغرق فيه فى صدر حياته الأدبية وبخاصة فى السنوات العشرة الأخيرة من القرن الماضى حيث ازدهرت الرمزية — فانه لا يزال يعرف حتى اليوم فى العالم كله كشاعر وكاتب رمزى أولا وقبل كل شىء ، بل وتعتبر رائعته المسرحية « بلياس وميليزاند » — كما قلنا — النموذج الكامل الصافى للمسرحية الرمزية . التى وان يكن قد كتبها نثرا — الا أنها أقرب ما تكون الى القصيدة الشعرية لرهافة أحاسيسها وشاعرية أسلوبها وقوة ايحائها ، وشفافية رموزها حتى رأيناها تغنى نثرا عندما لحنها أوپرا الموسيقى الفرنسى الكبير كلود ديبوسى سنة ١٩٠٢ وذلك بالرغم من أن الأوبرات لابد أن تكتب شعرا موزونا صالحا للغناء والتلحين .

ومسرحية بلياس وميليزاند بالغة البساطة فى أحداثها وان تكن دراما فى خمسة فصول حيث يمكن تلخيصها فى أسطر قليلة فهى قصة أمير اسمه « جولو » تاه فى غابة أثناء الصيد حيث عثر على فتاة شابة وهى تبكى ولا تعلم من أين جاءت واسمها ميليزاند ، ، فيحنو عليها ويتوجه اليها هذا الأمير الذى وخط الشيب فوديه ، وينجح فى النهاية فى أن يحملها على مصاحبته ثم الزواج منه باعتباره أرملا فقد زوجته بعد أن تركت له ولدا صغيرا اسمه اينيولد .

وفى القصر نلتقى بهما كما نلتقى ببلياس أخى جولو من

أمه وهو شاب حالم حتى الجنون ، لا يلبث أن يجد فى ميليزاند الدواء السحرى لما يعانيه من حنين وجدب عاطفى . وفى جولة معها الى كهف على شاطىء البحر يسقط خاتم الزواج من اصبع ميليزاند وهى تحاول أن تصل بيدها الى صفحة الماء ، فيحرك ضياع الخاتم الدراما كلها نتيجة للشكوك التى أثارها هذا الضياع فى نفس جولو ، ويلوح لنا العاشقان وكأن قدرا مأسويا يجذب أحدهما الى الآخر ، وما ان يتأكدان من الموت الذى ينتظرهما حتى يرتمى أحدهما فى أحضان الآخر . ويقتل جولو أخاه بلياس ، بينما ميليزاند لا تعيش بعد ذلك غير فترة الفصل الخامس الذى تنتهى به المسرحية كما تنتهى حياة ميليزاند بعد أن تضع طفلة صغيرة كانت قد حملت بها ، وكان موتها فيما يقول المؤلف نتيجة لاصابة بجرح فى جنبها الأيسر تحت ثديها اللطيف ، جرح صغير لو كان بحمامة لما قتلها .

فالمسرحية فى ظاهر أحداثها تشبه قصص الغرام العنيف مثل قصة تريستان وايزولد وروميو وچوليت حيث يجتمع الحب والموت ويكونان كلا واحدا . ولكنها فى جوهرها وأعماقها أبعد غورا وأكثر أسرارا وأقوى ايحاء وشاعرية بل وتصوفا واغراقا فى الايمان بالقدر من قصة غرام عادية .

والمسرحية لا تتضمن فى الواقع أحداثا بل تتضمن رموزا يستطيع الخيال وحده أن يعثر على مفاتيحها ، فمنذ الفصل

الأول نعلم أن جولو بعد أن عثر على ميليزاند ونجح فى اقناعها بالزواج منه قد رحل فى مركب دون أن ندرى سبب هذه الرحلة ولا هدفه منها وأكبر الظن أنها رحلة عاطفية قلبه سفينتها ، وعاطفته شراعها سواء أكانت تلك العاطفة هى غرامه بميليزاند أم قلقه وخوفه من جده الملك « أركل » الذى كان يفكر فى تزويجه من احدى الأميرات لحل الخلاف بينه وبين أسرتها وتدعيم ملكه ، وذلك بدليل الخطاب الذى أرسله جولو الى أخيه بلياس يدعوه فيه الى محاولة تبرير ما فعل عند جدهما ، واقناعه بأن زواجه من ميليزاند جاء كالقدر المحتوم .

ثم ننتقل بعد ذلك من رمز الى آخر فبلياس وميليزاند يذهبان معا الى الكهف الذى يضيع فيه خاتم زواجها وكأن هذا الكهف بمياهه العميقة هو قلب بلياس الذى تفتح لحبها ووجد فى هذا الحب بلسم حياته ، فلا غرابة بعد ذلك فى أن تبتلع مياه هذا الكهف خاتم الزواج بل الزواج كله . وباستطاعة القارىء أن يراجع فى النص وصف هذا الكهف العميق وعابرى السبيل العميان الثلاثة الذين يرقدون على حافته رمزا لبلياس وميليزاند وجولو الذين جمعهم القدر فى هذه المأساة . وعندما نرى الطفل اينيولد يسلط مصباحه على عينى بلياس وميليزاند

— لا نرى فى ذلك غير رمز لمحاولة هذا الطفل البرىء الكشف عن أعماق نفسيهما بواسطة هذا المصباح .

وعندما تتأزم الأمور وتصل المأساة الى حافة الهاوية نرى جولو يصطحب أخاه وميليزاند الى سراديب القصر المعتمة ذات الرائحة الكريهة ، رمزا لسراديب النفس البشرية وما فيها من سموم ، كما نعود مرة أخرى الى الرمز فى الحجر الثقيل الذى اختفت كرة الطفل اينيولد تحته والطفل لا يستطيع زحزحته وكأنه القدر أو تلك العاطفة المحتومة العارمة التى سيطرت على بلياس وميليزاند فانتزعت من أبيه زوجته التى كان الطفل يعتبرها أمه ، وفى النهاية لا ندرى كيف أصيبت ميليزاند ومن أين جاءها الجرح فى جنبها الأيسر تحت ثديها اللطيف . كما لا نعلم كيف ماتت من هذا الجرح الصغير الذى لو كان بحمامة لما قتلها . وأكبر الظن أنه لم يكن جرحا ماديا بل كان جرحا معنويا عاطفيا هو فجيعة ميليزاند فى حبيبها بلياس الذى قتله زوجها وأخوه جولو . ولا أدل على ذلك من أن يأتى الجرح فى الجنب الأيسر وتحت الثدى اللطيف أى فى موضع القلب تماما .

والمسرحية لا تقف فى رمزيتها عند الأحداث والمشاهد واستخدام الأشياء ومناظر الطبيعة كرموز للايحاء بحقائق النفس البشرية السحيقة والتجاوب الذى تحدث عنه بودلير

بين النفوس والأشياء ، والانعكاسات المتبادلة بينها بل تمتد تلك الرمزية الى أسلوب التعبير اللغوى أيضا فى مثل حديث المؤلف عن صخب الصمت الذى يحيط بنفوس مضطربة ، أو حديثه عن رؤية الأضواء بالأذن فى بعض حالات النفس المتوجسة ، وكل ذلك فضلا عن الأسلوب الشعرى الذى يستهدف الايحاء أكثر مما يستهدف التعبير المباشر ، ومن المعلوم أن الرمزية تعتمد على الايحاء اللغوى اما عن طريق المجاز المستند الى وحدة الوقع النفسى بين المعنى المنقول منه والمنقول اليه واما عن طريق الايحاء بفضل موسيقى اللغة والصور والأخيلة الشعرية . وباستطاعة كل قارىء أن يفتح أية صفحة من هذه المسرحية ليقع مباشرة على كافة هذه العناصر الايحائية التى تمتلكها اللغة والتى استطاع الرمزيون الكبار أن يحسنوا الانتفاع بها .

المسرحية بين النقاد

ومع كل هذا ، فان مسرحية « بلياس وميليزاند » قد تعرضت للكثير من النقد حيث هاجمها عدد من النقاد المعاصرين له الذين رأوا فيها انسياقا من الكاتب البلچيكى نحو المعميات والايمان بالقدر الذى اختلط عنده بشهوة النفس الجامحة ، مما أوقف جريان الدم فى المسرحية . وبالرغم مما فى هذه

الدراما من مواقف وأوضـــاع وأحـداث — فان المؤلف لا يستخلص دلالتها الكاملة ليوحى بها ان لم يشأ الافصاح عنها ، بل يتركها معماة شبه صامتة .

وعند هؤلاء النقاد أن الشهرة العالمية التى أصابتها مسرحية « بلياس وميليزاند » لا يرجع الفضل الأكبر فيها الى موريس ماترلنك بقدر ما يرجع الى كلود دى بوسيه الموسيقار الفرنسى الكبير الذى استخلص بموسيقاه أغوارها وأبرز تلك الأغوار فى نغماته المشجية التى قام عليها مجده ، وغمر المسرحية كلها بروح غنائية مرهفة حملت جميع النقاد على الاشادة بعمله ووضعه فى قمة الخالدين . وبالرغم من أن عددا كبيرا من الموسيقيين قد عادوا الى استيحاء هذه الدراما وكتابة القصائد السيمفونية أو المقطوعات المسرحية أو المتتابعات بوحى منها مثلما فعل جابرييل فوريه وغيره ، فان أحـدا لم يصل فى موسيقاه الى مثل ما وصـل اليه دى بوسيه حتى أصبحت بلياس وميليزاند لا تذكر الا مقرونة باسم أوبرا دى بوسيه .

ولكنه من الثابت تاريخيا أن انتقال موريس ماترلنك بين بلجيكا وفرنسا وانتمائه حينا الى هذه وحينا آخر الى تلك قد سبب له الكثير من المتاعب مع نقاد البلدين . فالفرنسيون اعتبروه دخيلا عـلى أدبهم ، بينما اعتبره البلجيـكيون آبقا متمحكا بفرنسا وأدبها . وبين اللجتين قاسى ماترلنك ، ولذلك

ربما كان التقدير الذى حظى به ولا يزال يحظى به فى البلاد الأوروبية الأخرى كانجلترا وألمانيا أكبر من التقدير الذى حظى به فى بلاد اللغة الفرنسية ، فرنسا وبلجيكا معا ، مع مراعاة أن الأدب الرمزى عامة والمسرح الرمزى خاصة قد كان وسيظل متعة الخاصة المرهفة الحس القوية الخيال القادرة على الاكتفاء بالايحاء دون التصريح وبالايماءة دون التقرير ، وبالمتعة الشعرية ، دون الاثارة بواسطة الحركة السريعة اللاهثة ، والأحداث المادية القوية . ومسرحية بلياس وميليزاند لا زلنا نصر على أنها أشبه ما تكون بالقصيدة الرمزية المرهفة المجنحة .ويكفيها فخرا أنها لا تزال حتى اليوم تغنى نثرا كما كتبها ماترلنك بمصاحبة أنغام دى بوسيه الموسيقية المرهفة ، وهذه ظاهرة نادرة فى المسرح الغنائى كله وفى مسرح الأوبرا بنوع خاص .

محمد مندور

أشخاص المسرحية

أركل : ملك اليموند

چينڤييف : أم پلياس وجولو

پلياس وجولو : حفيـدا أركل

مليزاند :

الطفل اينيولد : ابن جولو (من زواجه الأول)

البـواب : خادمات ، وفقراء وشخصيات أخرى ثانوية .

الفصل الأول

المنظر الأول

باب القصر

الخادمات : افتح الباب ! افتح الباب !

البواب : من هنـاك ؟ لم جئتن توقظننى ؟ اخرجن من الأبواب الصغيرة ، اخرجن من الأبواب الصغيرة ؛ ومنها فى القصر ما يكفى ! ..

خادم من الخادمات : أتينا نغسل العتبة ، والباب ، والسلم الخارجى ؛ فافتح اذن ! افتح اذن !

خادم أخرى : ستكون هنا أحداث كبيرة .

خادم ثالثة : ستكون أعياد كبيرة ! افتح سريعا ! ..

الخادمات : افتح اذن ! افتح اذن !

البواب : انتظرن ! انتظرن ! لا أدرى هل يمكننى فتحه .. لا يفتح أبدا .. انتظرن حتى يسفر نور الصباح.

الخادم الأول : قد أسفر فى خارج القصر سفورا كافيا ، وأرى الشمس من خلال الصدوع .

البواب : هذه هي المفاتيح الضخمة .. آه ! ما أعظم صرير المغاليق والأقفال .. ساعدتنى ! ساعدتنى ! ..

الخادمات : ها نحن نشد ، نشد ..

خادم ثانية : لن ينفتح ..

الخادم الأولى : واها ! واها ! ينفتح ! ينفتح فى بطء !

البواب : ما أعظم صريره ! سيوقظ الجميع ..

خادم ثانية : واها ! ها لقد أسفر الصبح خارج القصر .

الخادم الأولى : ما أعجب شروق الشمس على البحر !

البواب : الباب مفتوح .. مفتوح عن آخره ! ..

(تظهر جميع الخـــادمات على العتبة ، ويجتزنها) .

الخادم الأولى : سأغسل أولا العتبة ..

خادم ثانية : لن يمكننا أبدا تنظيف كل هذا .

خادمات أخر : الينا بالماء ! الينا بالماء !

البواب : نعم ، نعم ؛ اصبين المـاء ، اصبين كل مـاء الطوفان ؛ فلن تصلوا أبدا الى نهاية ..

المنظر الثانى

غـــابة

(ترى « ميليزاند » على حافة ينبوع) .

(يدخل « جولو »)

جولو

لم أعد أستطيع الخروج من هذه الغابة — يعلم الله الى أين قادنى هذا الحيوان . على أنى كنت أحسب أنى أصبته اصابة قاتلة ؛ وهذه آثار دم . ولكن الآن قد ضل بصرى ؛ وأحسب أنى ضللت أنا نفسى ؛ ولن تعثر علىّ بعـد ذلك كلابى .. سأعود أدراجى .. — أسمع بكاء .. عجبا ! عجبا ! ماذا هناك على حافة الماء ؟ .. فتاة صغيرة تبكى عـلى الينبوع ؟ (يسعل) — لا تسمعنى . ولا أرى وجهها . (يقترب ويلمس ميليزاند من كتفها) لماذا تبكين ؟ (ميليزاند ترتعد ، وتنهض تريد الهرب) — لا تخافى .

فليس لديك ما يخيف . لماذا تبكين ، هنا ، وحدك ؟

ميليزاند : لا تلمسنى ! لا تلمسنى !

جولو : لا تخافى .. فلن أمسك .. واها ! ما أجملك !

ميليزاند : لا تلمسنى ! والا ألقى بنفسى فى الماء ! ..

جولو : لن ألمسك . انظرى ، سأبقى هنا ، مستندا الى الشجرة . لا تخافى . هل نالك أحد بسوء ؟

ميليزاند : أف ! نعم ! نعم ! نعم !

(تنتحب من أعماقها)

جولو : ومن الذى آساء اليك ؟

ميليزاند : كل الناس ! كلهم !

جولو : وأى سوء فعلوه ؟

ميليزاند : لا أريد أن أقوله ! لا أستطيع أن أقوله ! ..

جولو : أمر عجيب ، لا تبكى هكذا . من أين جئت ؟

ميليزاند : هربت ! .. هربت ..

جولو : نعم ، ولكن من أين هربت ؟

ميليزاند : تهت ! .. أنا تائهة هنا .. لست من هذا المكان .. ولست مولودة هنا ..

جولو : من أين أتت ؟ وأين ولدت ؟

ميليزاند : أف ! أف ! ولدت بعيدا من هنا .. بعيدا .. بعيدا .

جولو : ما الذى يتلألأ هكذا فى قاع الماء ؟

ميليزاند : أين هو اذن ؟ — آه ! هو التاج الذى أعطانيه . قد سقط حين كنت أبكى .

جولو : تاج ؟ — من الذى أعطاك تاجا ؟ — سأحاول التقاطه ..

ميليزاند : لا ، لا ، لم أعد أرغب فيه ! أفضل أن أموت فى الحال ..

جولو : يمكننى انتشاله بسهولة . فليس الماء جد عميق .

ميليزاند : لم أعد أريده ! ولو انتشلته فسأرمى بنفسى فى مكانه ! ..

جولو : كلا ، كلا ، سأتركه فى مكانه . انه تاج جد جميل — أهربت منذ زمن طويل ؟

ميليزاند : نعم .. من أنت ؟

جولو : أنا الأمير جولو — حفيد أركيل ، ملك آلموند الشيخ ..

ميليزاند : واها ! قد دب فى شعرك وخط المشيب ..

جولو : نعم ؛ بعض شعرات هنا ، قريبا من الصدغين ..

ميليزاند : ولحيتك أيضا .. لماذا تنظر الى هكذا ؟

جولو : أنظر فى عينيك — ألا تغمضين عينيك أبدا ؟

ميليزاند : بلى ، بلى ؛ أغمضهما فى الليل ..

جولو : لماذا يبدو عليك الدهش ؟

ميليزاند : أأنت من عمالقة الغاب ؟

جولو : أنا رجل كالآخرين ..

ميليزاند : لماذا جئت الى هنا ؟

جولو : لا أعرف أنا نفسى كيف جئت الى هنا . كنت أصيد فى الغابة . وكنت أطارد خنزيرا بريا . وتهت فى الطريق — يبدو عليك أنك صغيرة جدا فى السن . ما عمرك ؟

ميليزاند : بدأت أحس بالبرد .

جولو : هل لك فى أن تأتى معى ؟

ميليزاند : لا ، لا ؛ سأبقى هنا ..

جولو : لا يمكنك البقاء هنا وحدك . ولا يمكنك البقاء هنا طول الليل . ما اسمك ؟

ميليزاند : ميليزاند .

جولو : لا يمكنك البقاء هنا يا ميليزاند . تعالى معى ..

ميليزاند : سأبقى هنا ..

جولو : ستخافين وحدك طول الليل .. هذا غير ممكن ميليزاند ، تعالى ، أعطنى يدك ..

ميليزاند : أواه ! لا تلمسنى ! ..

جولو : لا تصرخى .. فلن ألمسك بعد الآن . ولكن تعالى معى . سيكون الليل حالكا جدا وباردا جدا . تعالى معى ..

ميليزاند : الى أين ؟

جولو : لا أدرى .. أنا تائه أيضا .

(يخرجان)

المنظر الثالث

ردهة فى القصر

(يرى المتفرجون « اركيل » و « چينيڤييف »)

چينيڤييف : هذا هو ما كتبه الى أخيه پلياس : « ذات مساء وجدتها تذوب دموعا على حافة ينبوع ، حيث تهت فى الغـابة . ولا أعرف سنها ، ولا من هى ولا من أين جاءت ، ولا أجرؤ على سؤالها ، لأنه لابد أنها تعرضت لرعب شـديد ، فحين تسأل عما حدث لها تبكى بغتة كطفل ، وتنتحب من صميم قلبها انتحابا يبعث على الخوف . وحين وجدتها قريبا من مياه الينبوع ، كان قد انزلق تاج ذهبى من شعرها ، فسقط فى قاع الماء . على أنها كانت فى ثياب أميرة ، بالرغم من أن ملابسها كانت قد مزقتها الأشواك . وقد مضت ستة شهور منذ تزوجتها ، والى الآن لم أر من أمرها شيئا أكثر من يوم لقائنا . وفى الانتظار ، يا عزيزى پلياس ، أنت يا من أحبك

أكثر من أخ ، على الرغم من أننا لسنا من أب واحد ، فى الانتظار ، مهد لعودتى .. .. أعلم أن أمى ستعفو عنى عن طيب خاطـر . ولكن بى خوف من الملك ، جدنا المبجل ، بى خوف من أركيل ، على الرغم من طيب طويته الخالصة ، لأنى بهذا الزواج الغريب خيبت أمله فى جميع مشروعاته السياسية ، وأخاف ألا يكفى جمال ميليزاند فى بصره الحـكيم حقا لاعـــذارى فيما ارتكبت من حماقة . على أنه اذا قبل أن يستقبلها كما يستقبل ابنته من صلبه ، ففى مساء اليوم الثالث من تسلمك هذا الخطاب ، أشعل مصباحا على قمة البرج الذى يطل على البحر . وسأبصره من فوق جسر سفينتنا ، والا فسأذهب الى أقصى مكان ، ولن أعود بعد ذلك .. » . فما تقول فى هذا ؟

أركيل : لن أقول شيئا . فمن المحتمل أنه فعل ما كان عليه أن يفعل . فأنا شيخ كبير ، ومع ذلك لم أر دخيلة نفسى فى وضـوح فى لحظة من اللحظات . فكيف تريدين أن أحكم على ما فعل

الآخرون ؟ . لست بعيدا من الغير ، ولا يتأتى لى أن أحكم أنا على ذات نفسى .. وينخدع المرء دائما حين لا يغمض عينيه ، تسامحا ، أو لكى يمعن النظر فى ذات نفسه . قد يبدو لنا ما فعله غريبا ؛ وهذا كل ما أقول . فقد تجاوز سن النضج ؛ ويتزوج — مثل طفل — فتاة صغيرة التقى بها قريبا من ينبوع .. يبدو لنا غريبا ، لأننا لا نرى أبدا سوى الوجه الآخر للأقدار .. حتى بالنسبة الى أنفسنا .. وكان دائما يتبع نصائحى حتى الآن ؛ وكنت أعتقد أنى أضفى عليه السعادة حين أرسلته يطلب يد الأميرة أورسول .. فلم يكن فى طاقته أن يبقى وحيدا ، ومنذ موت امرأته كان حزينا بوحدته ؛ وهذا الزواج كان سينهى حروبا طويلة وأحقادا قديمة .. ولم يرغب فيه : ولم أعترض قط مصير أحد ؛ ويعرف هو مستقبله خيرا منى . وربما لا تقع أحداث بلا جدوى ..

چينيفييف : قد كان دائما فطنا حقا ، ورصينا حقا ، وصلبا حقا .. ولو كان پلياس هو الذى فعل هذا

لفهمت .. ولكنه هو .. وفى سنه .: ومن التى سيدخلها بيننا هنا ؟ — مجهـولة وجدت فى عرض الطريق .. منذ موت امرأته لم يكن يعيش الا من أجل ابنه ، الطفل اينيولد ، واذا كان قد شرع فى الزواج من جديد ، فذلك لأنك أردت هذا .. والآن ، نسى كل شىء .. وما العمل الآن ؟ ..

(يدخل پلياس)

أركيل : من دخل هنا ؟

چينيفييف : هو پلياس . قد بكى .

أركيل : أهـذا أنت ، ياپليـاس ؟ — اقترب منى أكثر حتى أراك فى النور ..

پلياس : يا جدى ، فى نفس الوقت الذى تسلمت فيه رسالة أخى ، تسلمت رسالة أخرى ، رسالة من صديقى مارسيلوس .. هو على وشك الموت ، ويدعونى . ويريد أن يرانى قبل أن يموت ..

أركيل : تريد أن ترحل قبل عودة أخيك ؟ ربما يكون صديقك أخف مرضا مما يعتقد .

پلياس : ان رسالته من الحزن بحيث يرى المرء الموت

بين سطورها .. ويقول انه يعرف بالدقة اليوم الذى تحل فيه نهايته المحتومة .. ويقول اننى أستطيع أن أصل قبل هذه النهاية لو أردت ، ولكن على أن أسرع اليه قبل فوات الوقت.. على أن السفر طويل جدا ، ولو انتظرت عودة أخى جولو فربما يكون قد فات الأوان ..

أركيل : مع ذلك يجب أن تنتظر بعض الوقت.. فلا ندرى ماذا وراء عودة أخيك . وأبوك ، أليس معنا هنا ، فى الحجرة فوقنا ، وربما هو أشد مرضا من صديقك .. أيمكنك أن تختار بين الأب والصديق .. ؟

(يخرج)

چينيفييف : پلياس ، عليك أن تهتم بايقاد المصباح من هذا المساء ..

(يخرجان ، الواحد بعد الآخر)

المنظر الرابع

أمام القصر

(تدخل چينيڤييف وميليزاند)

ميليزاند : الظلام مخيم على الحدائق . وما أكثر الغابات ، ما أكثر الغابات حول القصور ! ..

چينيڤييف : نعم ، أدهشنى أيضا حين قدمت ، وهو يدهش كل الناس . فهنا أماكن لا يرى المـــرء فيها الشمس أبدا . ولكن سرعان ما يتعود المرء على ذلك .. منذ زمن طويل .. منذ ما يقرب من أربعين سنة أعيش هنا .. انظـرى من الجانب الآخر ، ترين أمامك تألق البحر ...

ميليزاند : أسمع تحتنا صوتا ..

چينيڤييف : نعم ، أدهشنى أيضا حين قدمت ، وهو يدهش هذا پلياس .. لا يزال يبدو مجهودا من طول انتظاره لك ..

ميليزاند : لم يرنا .

چينيڤييف : أعتقد أنه رآنا ، ولكنه لا يعرف ما يجب عليه

أن يفعله .. پلياس ، پلياس ، أهو أنت ؟

پلياس : نعم ! كنت قادما من جهة البحر ..

چينيڤيف : ونحن كذلك ، كنا نبحث عن النور . فالضوء هنا أغزر من أى مكان آخر ، على أن البحر حالك ..

پلياس : ستهب علينا عاصفة هذه الليلة . ان العواصف مألوفة لدينا .. وعلى الرغم من أن البحر هادىء كل الهدوء هذا المساء .. يبحر المرء دون أن يعرف ، ثم لا يعود .

هيليزاند : يخرج شىء من الميناء .

پلياس : لابد أنها سفينة كبيرة .. فالأضواء عالية جدا ، وسنرى ذلك بعد قليل حين تدخل السفينة فى نطاق النور .

چينيڤيف : لا أدرى هل سيمكننا أن نرى هذا .. فعلى البحر ضباب .

پلياس : كأنما الضباب يرتفع فى بطء ..

هيليزاند : نعم ، وألمح هناك ضوءا صغيرا لم أكن أراه ..

پلياس : هو منار ، وهناك منارات أخرى لا نراها بعد .

ميليزاند : السفينة الآن فى الضوء .. وها هى ذى قد أصبحت بعيدة كل البعد .

پلياس : هى سفينة أغراب . وتبدو لى أكبر من سفننا .

ميليزاند : هى السفينة التى حملتنى اليكم .

پلياس : تبتعد ناشرة كل قلوعها ..

ميليزاند : هى السفينة التى حملتنى اليكم . ولها قلوع كبيرة .. وقد عرفتها من قلوعها ..

پلياس : سيعصف بها البحر هذه الليلة ..

ميليزاند : ولماذا أقلعت ؟ يكاد المرء لا يراها بعد .. وربما تغرق ..

پلياس : ما أسرع ما يهبط الليل ..

(صمت)

چينيڤييف : لم يعد أحد منكم يتكلم ؟ .. ألم يعد لديكم شىء تقولونه ؟ .. آن آن نعود . يا پلياس ، أرشد ميليزاند الى طريق العودة . وعلى أن أذهب الى الطفل اينيولد لأراه لحظة .

(تخرج)

پلياس : لم نعد نرى شيئا فوق البحر ..

ميليزاند : أرى أضواء أخرى ..

بلياس : هى المنارات الأخرى .. هل تسمعين البحر ؟ .. قد علا صوت الريح .. لنهبط من هنا . أعطنى اذا شئت يدك .

ميليزاند : انظر ، انظر ، يداى مملوءتان بالزهر وورق الشجر .

بلياس : سأمسك بيدك لأسندك ، لأن الطريق وعر فى انحداره ، وهو مظلم شـديد الظلمة .. ربما أرحل غدا .

ميليزاند : أواه ! .. لماذا ترحل ؟

(يخرجان)

الفصل الثانى

المنظر الأول

ينبوع فى حديقة القصر ذات الأشجار

(يدخل پلياس وميليزاند)

پلياس : أتعرفين الى أى مكان أتيت بك ؟ — آتى لأجلس هنا ، غالبا ، حوالى الظهر ، حين يشتد الحر فى حدائق القصر . الجو اليوم خانق حتى فى ظل الأشجار .

ميليزاند : يا للعجب ! الماء رقراق ..

پلياس : وهو كماء الشتاء سلسال . هذا ينبوع قديم مهجور . ويظهر أنه منبع ذو عجائب خارقة ، فهو يبرىء الأكمه . ويسمونه أيضا : « ينبوع العمى » .

ميليزاند : ألم يعد يفتح عيون العمى ؟

پلياس : منذ كاد الملك نفسه يكون أعمى ، لم يعد يأتى اليه أحد ..

ميليزاند : ما أشد ما يشعر الانسان بالوحـــدة هنا .. لا يسمع المرء شيئا .

پلياس : هنا دائما صمت مطبق . لا تسمع فيه نأمة .. أتريدين الجلوس على حافة الحوض الرخامى ؟ فعليه شجرة من أشجار الزيزفون لا تنفذ فيها الشمس أبدا ..

ميليزاند : سأرقد على الرخام . — أريد أن أرى قاع الماء ..

پلياس : لم يره أحد قطّ . — وربما هو عميق كالبحر . — ولا يعلم أحد من أين يجىء . — وربما هو آت من مركز الأرض ..

ميليزاند : لو أن شيئا يلمع فى القاع فلربما علمنا مـدى عمقه .

پلياس : لا تميلى عليه هكذا ..

ميليزاند : أريد أن ألمس الماء ..

پلياس : احذرى أن تتزلقى .. سأمسك بيدك ..

ميليزاند : لا ، لا ، أريد أن أغمس فيه يدىّ معا .. يبدو أن يدى مريضتان اليوم ..

بلياس : آه ! آه ! حذار ! ميليزاند ! .. ميليزاند ! .. آه ! شعرك ! ..

ميليزاند : لا أستطيع ، لا أستطيع الوصول اليه .

بلياس : انغمست شعورك فى الماء ..

ميليزاند : نعم ، نعم ؛ هى أطول من ذراعى .. هى أطول منى ..

بلياس : ألم يعثر عليك أيضا على حافة نبع ؟

ميليزاند : نعم ..

بلياس : ماذا قال لك ؟

ميليزاند : لا شىء ؛ لم أعد أتذكر ..

بلياس : هل كان جدّ قريب منك ؟

ميليزاند : نعم ؛ كان يريد أن يقبلنى ..

بلياس : وكنت لا تريدين ؟

ميليزاند : نعم .

بلياس : لماذا كنت لا تريدين ؟

ميليزاند : عجبا ! عجبا ! رأيت شيئا يمر فى قاع الماء ..

بلياس : حذار ! حذار ! — ستقعين ! — بماذا تلعبين ؟

ميليزاند : بالخاتم الذى أعطانيه ..

بلياس : حذار ؛ فسيضيع منك ..

ميليزاند : لا ، لا ، أنا واثقة من أصابعى ...

پلياس : لا تلعبى هكذا ، فوق ماء عميق كل العمق ..

ميليزاند : يداى لا ترتعدان .

پلياس : ما أروع بريق الخاتم فى الشمس ! — لا تقذفى به الى السماء ..

ميليزاند : آه ! ..

پلياس : قد وقع ؟

ميليزاند : وقع فى الماء ! ..

پلياس : أين هو ؟

ميليزاند : لا أراه يغوص ..

پلياس : أظن أنى أراه يلمع ..

ميليزاند : أين اذن ؟

پلياس : هناك .. هناك ..

ميليزاند : آه ! ما أبعده منا ! .. لا ، لا ، هذا ليس هو .. هذا ليس هو .. قد ضاع .. لم يخلف سوى دائرة كبيرة فوق الماء .. ماذا تفعل ؟ ماذا تفعل الآن ؟ ..

پلياس : ينبغى ألا يطغى عليك القلق هكذا من أجل خاتم . فليس هو بشىء .. وربما نجده . واذا

لم نجده فسنجد بدلا منه خاتما آخر .

ميليزاند : لا ، لا ، لن نجده بعد ذلك ، ولن نجد بدلا منه خاتما آخر كذلك .. ومع ذلك كنت أعتقد أنه فى يدى ، وكنت قد أطبقت عليه يدى ، فاذا به يقع بالرغم منى .. كنت قد بالغت فى قذفه نحو الشمس .

بلياس : تعالى ، تعالى ، سنعود يوما آخر .. تعالى ، آن أن نذهب . قد يفجأوننا هنا .. كانت ساعة الظهيرة تدق فى اللحظة التى وقع فيها الخاتم ..

ميليزاند : وماذا نقول لجولو اذا سأل أين الخاتم ؟

بلياس : الحقيقة ، الحقيقة ، الحقيقة ..

(يخرجان)

المنظر الثانى

جناح فى القصر

(يرى جولو ممتدا على السرير ؛ وبجانب رأس السرير ميليزاند)

جولو : واها ! واها ! كل شىء على ما يرام ، وليس هذا أمرا ذا بال . ولكنى لا أستطيع أن أشرح لنفسى كيف حدث هذا . كنت أصيد فى الغابة مطمئن البال ، وجمح حصانى فجأة بدون سبب . هل رأى شيئا عجيبا ؟ .. وكنت قد سمعت دقات الظهيرة الاثنتى عشرة . وفى الدقة الثانية عشرة جفل الحصان فجأة ، وأخذ يجرى ، مثل أعمى مجنون ، تجاه شجرة . ولم أعد أسمع شيئا ولا أعرف ما حدث . فقد وقعت ، ولابد أنه وقع فوقى . فكنت أحسب أن الغابة كلها جاثمة فوق صدرى ؛ وكنت أحسب أن قلبى قد سحق . ولكن قلبى متين . ويظهر أن الذى حدث ليس شيئا خطيرا ..

ميليزاند : هل تريد أن تشرب قليلا من الماء ؟

جولو : شكرا ، شكرا ، لست عطشان .

ميليزاند : هل تريد وسادة أخرى ؟ .. فعلى هذه الوسادة بقعة صغيرة من دم .

جولو : لا ، لا ، لا لزوم لهذا . قد دمى فمى . وربما يدمى بعد ..

ميليزاند : هل أنت متأكد ؟ .. وهل ألمك باق على شدته ؟

جولو : لا ، لا ، حدث لى من مثل هذا كثير . أنا مخلوق من حديد ودم .. وليست عظام طفل تلك التى تحيط بقلبى ، فلا تقلقى ..

ميليزاند : أغمض عينيك ، وحاول أن تنام .وسأبقى هنا طول الليل ..

جولو : لا ، لا ، لا أريد أن تتعبى نفسك هكذا . لا حاجة بى لشىء ، وسأنام كطفل .. ماذا بك يا ميليزاند ؟ لماذا تبكين فجأة ؟ ..

ميليزاند : أنا .. أنا مريضة أيضا ..

جولو : أنت مريضة ؟ .. ماذا بك ، اذن ، يا ميليزاند ؟..

ميليزاند : لا أدرى . أنا مريضة أيضا .. وأفضل أن أقول لك ذلك اليوم ، سيدى ، لست سعيدة هنا ..

جولو : ماذا حدث ، اذن ، يا ميليزاند ؟ ما هذا ؟ ..

أنا الذى كنت غير منتبه لشىء .. ماذا حدث اذن ؟ .. هل أساء اليك أحد ؟ .. وهل أغضبك أحد ؟ ماذا حدث اذن ؟ ..

ميليزاند : لا ، لا ، لم يسىء الىّ أحد أقل اساءة .. ليس الأمر كذلك .. ولكنى لم أعد أستطيع العيش هنا . لا أدرى لماذا .. أود أن أرحل ، أن أرحل ! .. وسأموت اذا بقيت ها هنا ..

جولو : ولكن قد حدث شىء ؟ لابد أنك تخفين عنى شيئا ؟ .. قولى لى كل الحقيقة يا ميليزاند .. هل هو الملك ؟ .. هل هو أمى ؟ .. هل هو پلياس ؟ ..

ميليزاند : لا ، لا ، ليس پلياس . ولا أحد .. لا يمكنك أن تفهمنى ..

جولو : لم لا أفهم ؟ .. واذا لم تقولى لى شيئا فكيف يتأتى لى أن أفعل .. قولى لى كل شىء ، وسأفهم كل شىء .

ميليزاند : أنا نفسى لا أعرف ما هذا .. ولو كنت أستطيع أن أقوله لقلته لك .. هذا شىء أقوى منى ..

جولو : هيا ، وثوبى الى الرشد ، يا ميليزاند . — فكيف

يتأتى لى أن أفعل ؟ فلست بعد طفلة . — هل أنا الذى تريدين أن تفارقيه ؟

ميليزاند : آه ! لا ، لا ؛ ليس الأمر كذلك .. أريد أن أذهب معك .. ولكنى هنا لا أستطيع أن أعيش.. وأشعر أنى لن أعيش طويلا بعد ..

جولو : مع ذلك يلزم أن يكون لذلك سبب . فسيحسبون أنك مجنونة . وسيعتقدون أنها أحلام طفولة . — هلمى ؛ ربما هو پلياس ؟ — أعتقد أنه لا يكلمك غالبا ...

ميليزاند : بلى ، بلى ؛ يكلمنى أحيانا . لا يحبنى فيما أظن، قد رأيت ذلك فى عينيه .. ولكنه يكلمنى حين يلقانى ..

جولو : ينبغى ألا تحقدى عليه . قد كان كذلك دائما . فى طبعه شىء من الغرابة . والآن هو حزين ؛ يفكر فى صديقه مرسيلوس الذى هو على حافة الموت ، ولا يمكنه أن يذهب ليعوده .. وسيغير من طبعه ، سيغير ، وسترين ؛ انه شاب ..

ميليزاند : لكن ليس ذلك هو الأمر .. ليس ذلك هو ..

جولو : ما الأمر اذن ؟ — ألا يمكنك أن تسايرى الحياة

التى نحياها هاهنا ؟ — حقا هذا القصر عتيق جدا ومعتم جدا .. وهو بارد جـدا ، لا نهاية لسراديبه . وكل ساكنيه قد التقيت بهم وهم فى سن الشيخوخة . ويبدو الريف من حوله حزينا كل الحزن أيضا ، بجميع غاباته ، جميع غاباته الهرمة ولا نور فيها . ولكن يمكن المرء أن ينشر البهجة فى كل هـذا اذا أراد . ثم ان السرور لا يتاح فيه للمرء فى كل الأيام ؛ علينا أن نأخذ الأشياء كما هى . ولكن قولى لى شيئا ما ؛ أى شىء مهما يكن ؛ فسأفعل كل ما تريدين .

ميليزاند : نعم ، نعم ؛ هذا حق .. لا ترى السماء صافية أبدا .. ولأول مرة رأيتها صافية هذا الصباح ..

جولو : اذن هـذا ما يجعلك تبكين ؛ وارحمتاه لك ، أيا ميليزاند ؟ — اذن لا شىء سوى هذا ؟ — تبكين أنك لا ترين السماء ؟ — هيا ! هيا ! لم تعودى فى السن التى يبكى فيها المرء من أجل هذه الأشياء .. ثم أليس هناك الصيف ؟ وسترين السماء فى جميع الأيام — ثم فى السنة القادمة .. هيا ، أعطنى يدك ؛ أعطنى يديك

اللطيفتين . (يمسك بيديها) واها ! هاتان اليدان اللطيفتان اللتان أستطيع سحقهما كالزهر . — عجبا ، أين الخاتم الذى كنت أعطيتك ؟

ميليزاند : الخاتم ؟

جولو : نعم ، خاتم عرسنا ، أين هو ؟

ميليزاند : أظن .. أظن أنه وقع ..

جولو : وقع ؟ — أين وقع ؟ .. أضاع منك ؟

ميليزاند : لا ، لا ، قد وقع .. لابد أنه وقع .. ولكنى أعرف أين هو ...

جولو : أين هو ؟

ميليزاند : أتعرف .. أتعرف جيدا .. الكهف على شاطىء البحر ؟ ..

جولو : نعم .

ميليزاند : حسن ، هو هناك .. لابد أنه هناك .. نعم ، نعم ، أذكر .. ذهبت هناك هذا الصباح ، لأجمع قواقع للصغير اينيولد .. وهناك منها ما هو جميل جدا .. فانزلق من اصبعى .. ثم دخلت

مياه البحر الي الكهف ، وكان لابد أن أخرج قبل أن أعثر عليه .

جولو : هل أنت متأكدة من أنه هناك ؟

ميليزاند : نعم ، نعم ، متأكدة كل التأكد .. أحسست به ينزلق .. ثم فجأة ، صخب الأمواج ..

جولو : يجب أن تذهبى فى الحال لتبحثى عنه .

ميليزاند : الآن ؟ فى الحال ؟ وفى الظلام ؟

جولو : نعم . أفضل ضياع كل ما أملك على ضياع هذا الخاتم . لا تعرفين أى شىء هو ! لا تعرفين من أين أتيت به . سيكون البحر عاليا جدا هذه الليلة . وسيأتى البحر ليأخذه قبلك .. أسرعى.. يجب أن تذهبى فى الحال لتبحثى عنه .

ميليزاند : لا أجرؤ .. لا أجرؤ على الذهاب وحدى ..

جولو : اذهبى الى هناك ، اذهبى الى هناك مع أى انسان . ولكن عليك أن تذهبى فى الحال ، أتسمعين ؟ — عجّلى ، واطلبى الى پلياس أن يذهب الى هناك معك .

ميليزاند : پلياس ؟ مع پلياس ؟ — ولكن پلياس لن يريد..

جولو : سيفعل پلياس كل ما تطلبين منه . أعرف پلياس أكثر منك . اذهبى الى هنـاك ، اذهبى الى هناك ، عجّلى . لن أنام قبل أن أحصل على الخاتم .

ميليزاند : لست سعيدة ..

(تخرج باكية)

المنظر الثالث

أمام الكهف

(يدخل پلياس وميليزاند)

پلياس : نعم ، هنا ، قد وصلنا . الظلام حالك حتى ان العين لا تفرق مدخل الكهف عن بهمة الليل .. وليس فى هذه الناحية نجوم . لننتظر حتى يمزق القمر هذه السحابة الكبيرة ، فسنير كل الكهف ، وحينذاك يمكننا أن ندخله بدون خطر . فهنا أماكن خطرة ، والممر ضيق جدا ، بين بحيرتين لم يسبر أحد — بعد — عمقهما . لم أفكر فى حمل مشعل أو قنديل ، ولكن لننتظر حتى تسعفنا السماء بضوئها . — ألم تدخلى أبدا هذا الكهف ؟

ميليزاند : لا ..

پلياس : لندخل .. يجب أن يكون فى مقدورك أن تصفى المكان الذى فقدت فيه الخاتم ، اذا سألك .. فهو فسيح جدا وجميل جدا . وفى سقفه أعمدة

مياه متحجرة لها شكل نبات أو انسان . وهو ملىء بظلمات زرق . ولم يجبه بعد أحد حتى أقصاه .ويبدو أن به كنوزا مخبوءة . وبه ترين بقايا سفن غرقى قديمة . ولكن لا ينبغى أن يدخله المرء بدون دليل . وبعض من دخلوه لم يعودوا قط . ولا أجرؤ أنا نفسى على الزج بنفسى فى قاعه أكثر مما ينبغى . وسنتوقف عن السير فى اللحظة التى نعود نبصر فيها نور البحر أو نور السماء . وحين يشعل المرء مصباحا صغيرا يخيل اليه أن قبته ملأى بالنجوم مثل قبة الفلك . وهى ، فيما يقولون ، فتات من بلور أو من ملح تضىء هكذا فى الصخر . انظرى ، انظرى ؛ أحسب أن السماء ستصحو . أعطنى يدك ، لا ترتعشى ، لا ترتعشى هكذا . فليس هنا من خطر ؛ سنتوقف عن السير فى اللحظة التى نعود نبصر فيها نور البحر .. أهو صخب الكهف الذى يفزعك ؟ هو صخب الليل أو صخب الصمت . أتسمعين البحر من خلفنا ؟

يبدو أنه غير سعيد فى هذه الليلة .. آه ! هذا هو الضوء !

(يضيء القمر فى وضوح مدخـــل الكهف وجزءا من ظلماته ؛ ويبصر المرء على مسافة بعيدة قليلا من المدخـل ثلاثة فقراء شيوخ ذوى شعور بيض ، جالسين بعضهم بجانب بعض ، ممسكا أحدهم بالآخـر ، نائمين متكئين على جانب من صخرة) .

ميليزاند : آه !

پلياس : ماذا ؟

ميليزاند : هنا .. هنا ..

(تشير الى الفقراء الثلاثة)

پلياس : نعم ، نعم ، رأيتهم كذلك .

ميليزاند : لننصرف ! .. لننصرف ! ..

پلياس : نعم .. هم ثلاثة فقراء فى سن الشيخوخة عراهم النوم .. تخيم على البلد مجاعة كبيرة .. لماذا جاءوا ينامون هنا ؟ ..

ميليزاند : لنذهب من هنا ! تعال ، تعال ، لنذهب من هنا .

پلياس : حذار ، لا ترفعى صوتك كثيرا .. فعلينـــا ألا نوقظهم .. انهم مستغرقون فى نوم عميق.. تعالى .

ميليزاند : دعنى ، دعنى ؛ أفضل أن أسير وحدى ..

پلياس : سنعود يوما آخر ..

(يخرجان)

المنظر الرابع

جناح فى القصر

(يرى أركيل وبلياس)

أركيل : ترى أن كل شىء يمسك بك ههنا ويمنعك من سفر لا طائل وراءه . قد كتموا عنك ، حتى الآن حالة أبيك ؛ وربما هى لا آمـــل فيها ؛ ويجب أن يكون هذا وحده كافيا أن يحجزك عن الخروج من البيت . ولكن هناك أسباب كثيرة أخرى .. وليست الساعة التى يستيقظ فيها أعداؤنا ويموت الشعب جـوعا ويتهامس من حولنا هى الســاعة التى يحق لك فيها أن تتركنا . ولم هذا السفر ؟ قد مات مرسيلوس ؛ وعلى الرجـل واجبات أجل خطرا من زيارة قبر . وتقول انك مللت البطالة هنا ؛ ولكن اذ اصادف المرء فى عرض الطريق أسبابا تتطلب منه عملا وتتيح له القيام بالواجب فقلما يتعرفها المرء فى عجلة السفر . والأفضل انتظار هذه

الأسباب على عتبة الباب واقتناصها فى اللحظة التى تمر بها ؛ وهى تمر فى جميع الأيام . ألم ترها قط ؟ أما أنا فقد تضعضعت بصيرتى ، حتى تكاد تختلط علىّ كل الأمور ، ولكنى لا أزال قادرا على أن أنير لك بصيرتك ، وأن أريك هذه الأسباب ، يوم يروق لك دعوتها اليك باشارة منك ؛ ولكن مع ذلك أصغ الىّ ، اذا قدرت أن هذا السفر أمر لا مفر منه ، لأنه مرتبط أشد الارتباط بحياتك ، فلن أمنعك عن المضى فيه ، لأنك تدرك خيرا منى ما يقتضيه منك كيانك وقدرك . ولن أطلب منك سوى الانتظار حتى تعرف ما سيحدث عما قريب .

پلياس : وكم من الزمن علىّ أن أنتظر ؟

أركيل : بضعة أسابيع ؛ وربما بضعة أيام ..

پلياس : سأنتظر ..

الفصل الثالث

جناح فى القصر

(يرى پلياس وميليزاند . ميليزاند تغزل بمغزلها فى أقصى الحجرة)

پلياس : لم يرجع اينيولد ، الى أين ذهب ؟

ميليزاند : كان قد سمع صوتا فى الطرقة ، فذهب ليرى خبره .

پلياس : ميليزاند ..

ميليزاند : ماذا ؟

پلياس : أفما تزال الرؤية تسعفك كى تغزلى ؟

ميليزاند : أجيد الغزل فى الظلام أيضا ..

پلياس : أحسب أن جميع من فى القصر قد ناموا . ولم يعد جولو من الصيد . مع أن الوقت متأخر .. ألم يعد يشكو ألما من حادثة وقوعه ؟..

ميليزاند : قال انه لم يعد يشكو .

پلياس : عليه أن يحترس أكثر من ذى قبل ، فلم يعد جسمه غضا كما كان فى سن العشرين .. أرى

النجوم من النافذة وضوء القمر على الأشجار .
قد تأخر بنا الوقت ؛ ولن يعود . (يطرق الباب) . من هناك ؟ .. ادخل ! .. (يفتح الصغير اينيولد الباب ، ويدخل الحجرة) . أنت الذى تدق الباب هكذا ؟ .. ليس هكذا تطرق الأبواب . كأن شرا كان قد حدث ؛ انظر ، قد أزعجت أمك الحبيبة .

اينيولد الصغير : لم أدق الا دقة خفيفة جدا ..

بلياس : تأخر الوقت ؛ ولن يعود أبوك هذا المساء ؛ وآن أن تذهب لتنام .

اينيولد الصغير : لن أذهب لأنام قبلك أنت .

بلياس : عجبا ، ماذا ؟ كيف ؟ ماذا تقول ؟

اينيولد الصغير : أقول .. لن أذهب قبلك .. لن أذهب قبلك .

(ينفجر منتحبا ويذهب ليحتمى بجانب ميليزاند) .

ميليزاند : ماذا بك ، يا اينيولد ؟ ماذا بك ؟ .. لماذا تبكى فجأة ؟

اينيولد الصغير : لأن .. آه ! آه ! لأن ..

ميليزاند : لماذا ؟ .. لماذا ؟ قل لى ..

اينيولد الصغير : أماه .. أماه .. أنت على وشك الرحيل ..

ميليزاند : ماذا أصابك ، يا اينيولد ؟ لم أفكر قط فى الرحيل ..

اينيولد الصغير : بلى ، بلى ؛ أبى قد رحل ، يا لأبى ! .. أبى لن يعود ، وأنت على وشك الرحيل أيضا . فهمت هذا .. فهمته ..

ميليزاند : لم يفكر أحد قط فى الرحيل ، يا اينيولد .. فكيف اذن فهمت أنى على وشك الرحيل ؟

اينيولد الصغير : فهمت هذا .. فهمته .. قلت لعمى أشياء ما كنت أقوى على سماعها .

پلياس : فى عينيه نعاس .. انه يستيقظ من حلم .. تعال هنا ، يا اينيولد ؛ أو أنت نائم ؟ تعال اذن لترى من النافذة ؛ البجع الأبيض يصارع الكلاب ..

اينيولد الصغير : آه ! آه ! تصيدها ، الكلاب ! .. تصيدها ! .. آه ! آه ! الماء ! .. الأجنحة .. .. الأجنحة .. هى خائفة ..

پلياس : هو يشتهى النوم ، ويغالب النعاس ؛ وجفناه ينطبقان .

ميليزاند : يا للقديس دانيل والقديس ميكائيل

القديس ميكائيل والقديس رفائيل ..

اينيولد الصغير : آه ! آه ! يا أماه ! ..

ميليزاند : ماذا بك ، يا اينيولد .. ماذا بك ؟ ..

اينيولد الصغير : رأيت شيئا من النافذة ..

(پلياس وميليزاند يجريان نحو النافذة).

پلياس : كيف ؟ ولا شيء هناك . لا أرى شيئا ..

ميليزاند : وأنا كذلك ..

پلياس : أين رأيته ؟ومن أية ناحية ؟ ..

اينيولد الصغير : هناك ، هناك ! .. ولكنه اختفى ..

پلياس : لم يعد يعى ما يقول . ربما رأى ضوء القمر فوق الغابة . فله أحيـــانا كثيرة انعكاس عجيب ..وربما رأى شيئا مر على الطريق .. أو لعله كان يحلم ، اذ يبدو لى — انظرى ، انظرى — انه غلبه النوم .

اينيولد الصغير : أبى الحبيب ، هناك ! أبى الحبيب هناك !

پلياس : هو على حق ، جولو يدخل ساحة القصر ..

اينيولد الصغير : وا أبتاه ! وا أبتاه ! سأذهب للقائه !

(يخرج عدوا ــ صمت)

پلياس : يصعدان السلم ..

(يدخل جولو واينيولد الصغير يحمل مصباحا) .

جولو : ألا تزالان تنتظران هكذا فى الظلام ؟

اينيولد الصغير : أحضرت نورا ، يا أماه ! نورا قويا ! ..

(يرفع المصباح وينظر الى ميليزاند) .

بكيت ، يا أماه ، أو قد بكيت ؟ .. (يرفع المصباح نحو پلياس وينظر اليه كذلك) .

وأنت أيضا قد بكيت ؟ .. أبى الحبيب ، انظر ، أبى الحبيب ، قد بكيا كلاهما ..

جولو : لا تضع هكذا النور فى أعينهما ..

المنظر الثانى

برج من أبراج القصر

طريق ذو معبر دائرى تحت نافذة من نوافذ البرج .

(ميليزاند بجانب النافذة تمشط شعرها المتهـــدل) .

ميليزاند : الأخوات الثلاثة العمى *

(كان الله فى عونهن)

الأخوات الثلاثة العمى ،

لهن مصابيح من ذهب

يصعدن الى البرج

(هن وأنت وأنا) .

يصعدن الى البرج

لينتظرن سبعة أيام

تقول الأولى : آه

(كان الله فى عونها)

تقول الأولى : آه !

---

* ما تقوله ميليزاند شعر فى الأصل . المترجم

انى أرى الأضواء بأذنى

تقول الثانية : آه

(هن وأنت وأنا)

تقول الثانية : آه !

ان الصاعد هو الملك .

تقول أتقاهن : كلا

(كان الله فى عونها)

تقول أتقاهن : كلا ،

قد انطفأت الأضواء .

(يدخل پلياس من الطريق الدائرى)

پلياس : هيا ! هيا ! ايه !

ميليزاند : من هناك ؟

پلياس : أنا ، وأنا ، وأنا .. ماذا تفعلين على النافذة وأنت تغنين مثل طائر غريب ؟

ميليزاند : أسوى شعرى لاستقبال الليل .

پلياس : أهو هذا الذى أرى على الجدار ؟ .. كنت أحسبه شعاعا من نور ..

ميليزاند : فتحت النافذة ، وكان الليل يبدو لى جميلا .. ثم نجوم لا حصر لها ، لم أر قط منها بقدر

ما أرى هذا المساء .. ولكن القمر لا يزال فوق البحر .. لا تبقى فى الظلام ، يا ميليزاند ، حبذا لو ملت حتى أرى شعرك المتهدل .

(تميل ميليزاند من النافذة)

بلياس : واها ! ميليزاند ! .. واها ! أنت جميلة ! .. أنت جميلة فى هذا الوضع ! .. حبذا لو ملت نحوى أكثر فأكثر .. كى أصبح أشد اقترابا منك ..

ميليزاند : لا أستطيع أن أقترب أكثر مما أفعل .. أنا أميل بجسمى نحوك بقدر ما أستطيع .

بلياس : لا يتأتى لى أن أعلو اليك أكثر من ذلك .. أعطنى على الأقل يدك هذا المساء .. قبل أن أذهب .. سأرحل غدا ..

ميليزاند : لا ، لا ، لا ..

بلياس : بلى ، بلى ، انتى راحل ، سأرحل غدا .. أعطنى يدك ، يدك اللطيفة على شفتى ..

ميليزاند : لا أعطيك يدى ان نويت الرحيل ..

بلياس : أعطنى يدك ، أعطنى يدك ..

ميليزاند : اذن فلست براحل ؟ .. أرى وردة فى الظلام ..

بلياس : أين هى ؟ .. لا أرى الا فروع شجرة الصفصاف التى تطو الجدار ..

ميليزاند : هى أدنى الى الأرض ، أدنى الى الأرض ، فى الحديقة ، هناك فى الخضرة الدكناء .

بلياس : ليست هى بوردة .. سأذهب لأراها فورا ، ولكن أعطنى يدك أولا ، أولا يدك ..

ميليزاند : ها هى ، ها هى ، لا يمكنى أن أميل بجسمى نحوك أكثر .

بلياس : لا تستطيع شفتاى أن تصلا الى يدك ..

ميليزاند : لا أستطيع أن أميل أكثر .. أوشك أن أقع .. آه ! آه ! تدلى شعرى من البرج ! ..

(تدلى برأسها ، فينهدل شعرها فجأة ، ويجلس بلياس) .

بلياس : واها ! واها ! ما هـذا ؟ .. شعرك ، شعرك يتدلى نحوى !.. كل شعرك مجتمعا ياميليزاند، كله يتهدل من البرج ! .. أمسكه بيـدى ، وأمسه بشفتى .. وأحتضنه بين ذراعىّ ، وألفه حول عنقى .. لن أفتح قبضتى بعد ذلك هذه الليلة ..

ميليزاند : دعنى ! دعنى ! .. ستجعلنى أقع ..

پلياس : كلا ، كلا ، كلا ؛ لم أر قط شعرا مثل شعرك ، يا ميليزاند ! .. انظرى ، انظرى ، انه يهبط من عل ، ويغمرنى حتى قلبى .. وهو رخص حلو كأنما تجود به السماء ! . لم أعد أرى السماء من ثنايا شعرك ، فضوؤه يخفى عنى ضوءها ! .. انظرى ، انظرى اذن ، لم تعد يدى تستطيع أن تحتويه .. يهرب منى ، يهرب منى حتى فروع شجرة الصفصاف .. ويفر فى كل ناحية .. يرتعش ، يضطرب ، يخفق فى يدى خفق طيور ذهبية ، ويحبنى ، يحبنى خيرا منك ألف مرة ! ..

ميليزاند : دعنى ، دعنى ، قد يقدم علينا قادم .

پلياس : لا ، لا ، لا ؛ لن أطلق سراحك هذه الليلة .. أنت أسيرتى هذه الليلة ؛ كل الليلة ، كل الليلة ..

ميليزاند : پلياس ! پلياس ! ..

پلياس : لن تنصرفى عنى هذه الليلة .. أقبلك كلك اذ أقبل شعرك ، ولا أغانى بعد وسط لهبه ..

أتسمعين قبلاتى ؟ .. تصعد على طول آلاف الحلقات الذهبية .. ولابد أن كل حلقة تحمل اليك ألف قبلة .. ؛ وتحتفظ بمثلها لتكون من نصيبك حين لن أكون هنـــا .. ألا ترين ؟ ألا ترين ؟ .. أستطيع أن أفتـــح يدىّ .. ألا ترين ، يدىّ مطلقتين ولا تســـتطيعين الافلات من قبضتى .

(تخرج حمامات من البرج وتطير حولهما فى الليل) .

ميليزاند : ما ذاك ، يا پلياس ؟ — ما الذى يطير حولى ؟

پلياس : انها حمامات تخرج من البرج .. قد أفزعتها ؛ فهى تطير ..

ميليزاند : هى حماماتى ، يا پلياس — لننصرف ، دعنى ؛ فلن تعود هى بعد ذلك ..

پلياس : لماذا لا تعود هى بعد ذلك ؟

ميليزاند : ستتيه فى الظلام .. دعنى أرفع رأسى .. أسمع صوت أقدام .. دعنى ! — انه جـولو ! .. أعتقد أنه جولو ! قد سمعنا ..

پلياس : انتظرى ! انتظرى ؟ .. اشتبكت شـــعورك

بفروع الشجرة .. انتظرى ، انتظرى ! .. الظلام مطبق ..

(يدخل جولو من الطريق الدائرى) .

جولو : ماذا تفعل هنا .

پلياس : ما أفعل هنا .. أنا ..

جولو : أنتما طفلان .. ميليزاند ، لا تطلى هكذا من النافذة ، أنت على وشك السقوط .. أتعلمان أن الوقت متأخر ؟ — أوشك الليل أن ينتصف — لا تلعبا هكذا فى الظلام . — أنتما طفلان .. (ضاحكا ضحكة عصبية) يا لكما من طفلين ! يا لكما من طفلين !

(يخرج مع پلياس)

المنظر الثالث

سراديب القصر

(يدخل جولو وپلياس)

جولو : احترس ؛ الطريق من هنا ، من هنـا — ألم تخترق قط هذه السراديب ؟

پلياس : بلى ، مرة فيما مضى ؛ لكن منذ وقت طويل ..

جولو : هى عجيبة فى سعتها ؛ هى سـلسلة من كهوف عظيمة يعلم الله أين تنتهى . والقصر كله قائم على هذه الكهوف . أتشم الرائحة القاتلة التى تعم هذا المكان — هذا ما كنت أريد أن أجعلك تلحظه . وأحسب أنها منبعثة من بحيرة صغيرة تحت الأرض سأريكها الآن . خذ حذرك ؛ سر أمامى ، فى ضوء فانوس . وسأخبرك حينمـا نصل الى هناك . (يستمران فى سـيرهما فى صمت) . هلا ! هلا ! پلياس ! قف ! قف ! — (يجتذبه من ذراعه) . يا الهى ! .. ألا ترى ؟ — لو زدت خطوة لكنت فى الهاوية .

بلياس : كنت عاجزا عن الرؤية ! .. فقد كف الفانوس عن انارة طريقى .

جولو : قد عثـــرت بى قدمى .. لا أدرى ماذا كان سيحدث لك لو لم أمسك بذراعك .. انظر ! هذا هو المـاء الراكد الذى حدثتك عنه .. ألا تشم رائحة موت تنبعث منه ؟ — لنمض حتى طرف هذه الصخرة المشرفة على البحيرة ، واحن رأسك قليلا الى الأمام . فستهب عليك هذه الرائحة تلطم وجهك .

بلياس : هأنذا بدأت أحس بها .. انها تشبه رائحة قبر .

جولو : فلنتقدم ، فلنتقدم ، هى هى الرائحـة التى تنشر ، فى بعض الأيام ، السّـم فى القصر . ولا يريد الملك أن يصدق أنها آتية من هنا . ولابد من اقامة سقف فوق هذا الكهف الذى يحتبس فيه الماء الراكد . على أنه قد آن أن نفحص هذه السراديب . هل لحظت هـــذه الشقوق فى الجدران وأعمـدة القباب ؟ — فهذا تصدع خَبِىء" . لا يرتاب فيه أحد ؛ وسيبتلع القصر كله فى ليلة من الليـــالى اذا

لم نأخذ حذرنا منه . ولكن ماذا تريد ؟ لا يحب أحد أن ينزل الى هنا .. توجد شقوق عجيبة فى كثير من الجدران .. أف ! هذه هى .. أتشم رائحة الموت التى تصعد ؟

پلياس : نعم ، فى المكان رائحة الموت تصعد حولنا ..

جولو : مل بجسمك قليلا ، ولا تخف .. سأمسك بك .. أعطنى .. لا ، لا ليس يدك .. ربما تنزلق من يدى .. بل ذراعك .. ألا ترى الهاوية ؟ (مضطربا) — پلياس ؟ پلياس ؟

پلياس : نعم ، أعتقد أنى أرى قاع الهاوية .. ما الذى يضطرب هكذا ؟ أهو الضوء ؟ .. أنت ..

(يعتدل ، ويلتفت ، وينظر الى جولو) .

جولو : نعم ، هو الفانوس .. انظر ، كنت أهزه لأضىء الجوانب الخبيئة ..

پلياس : أختنق ههنا .. لنخرج ..

جولو : نعم ، لنخرج ..

(يخرجان فى صمت)

المنظر الرابع

شرفة فى مخرج السراديب تحت القصر

(يدخل جولو وبلياس)

بلياس : آه ! أخيرا أتنفس .. فى لحظة ما ، اعتقدت أن سيغمى علىّ فى متاهات هذه الكهوف ؛ وكنت على وشك أن أقع .. ففيها هواء رطب ثقيل مثل الرصاص ، وظلمات كثيفة كطين مسموم .. والآن ، كل الهواء فى البحر جميعا ! .. فيه ريح منعشة ، انظر ؛ منعش كورقة شجر تفتحت لساعتها ، فوق أمواج البحر الصغيرة الخضر .. عجبا ! قد انتهوا منذ قليل من ارواء الزهور على الحافة دون الشرفة ، وتصعد حتى أنوفنا رائحة الخضرة والورود المبتلة .. لابد أن الوقت قريب من الظهيرة ، لأن الورد والزهور قد أصبحت فى ظل البرج .. آن وقت الظهيرة ؛ أسمع دقات أجراسها ، والأطفال ينزلون الى

الشط للاستحمام .. لم أكن أعرف أنا مكثنا وقتا جد طويل فى الكهوف .

جولو : لقد هبطنا اليها نحو الساعة الحادية عشرة .

پلياس : قبل ذلك ، لابد أنا هبطنا قبل ذلك ؛ سمعت آنذاك دقة منتصف الساعة العاشرة .

جولو : العاشرة والنصف أو الحادية عشرة الا ربعا .

پلياس : فتحوا جميـــع نوافذ القصر . ستبلغ درجة الحرارة أقصاها اليوم بعد الظهر .. أمر غريب ، تلك أمنا وميليزاند عـــلى نافذة من نوافذ البرج ..

جولو : نعم ؛ التجأنا الى جهة الظل — وعـلى ذكر ميليزاند ، سمعت ما جرى وما قيل أمس مساء . وأعلم جيدا أن هذا لعب أطفال ؛ ولكن يجب ألا يتكرر . ميليزاند فى ريعـــان الشباب ، وشديدة الحساسية ، ويجب أن تراعى خاصة أنها ستكون أما عمـــا قريب .. وهى ضعيفة البنيـــة ، لم تكد تكمل أنوثتها ؛ وأقل انفعال منها يمكن أن يؤدى الى بلاء . وهـــذه أول مـــرة ألحظ فيهـــا أشـــياء تجيز لى الظن

أن بينكما علاقة .. أنت أكبر منها سنا ؛ ويكفيك أن أقول لك ذلك .. تجنبها بقدر ما تستطيع ، ولكن على أن يكون ذلك بدون تصنع ؛ بدون تصنع .. — ماذا أرى هناك على الطريق بجانب الغابة ؟ ..

پلياس : هذه قطعان تساق نحو المدينة ..

جولو : تبكى مثل أطفال تائهين ؛ حتى ليحسب المرء أنها تحس سلفا بطش الجـزار — أى يوم جميل ! أى يوم باهر للحصاد ! ..

(يخرجان)

المنظر الخامس

أمام القصر

(يدخل جولو واينيولد الصغير)

جولو : تعال ، لنجلس هنا ، يا اينيولد ؛ تعال على ركبتىّ سنرى من هنا ماذا يحدث فى الغابة . لم أعد أراك بتاتا منذ زمن . تهجرنى أنت أيضا ؛ ودائما عند أمك ، وارحمتا لها ! — ربما تصلى هى صلاة المساء فى هذه اللحظة .. ولكن قل لى ، يا اينيولد ، هى فى أغلب الوقت مع عمك پلياس ، أليس كذلك ؟

اينيولد الصغير : نعم ، نعم ؛ دائما ، يا أبتاه ؛ حين لا تكون أنت هناك ، يا أبتاه ..

جولو : آه ! — يمر شخص بفانوس فى الحديقة — ولكن قيل لى انه لا يحب أحدهما الآخر .. ويبدو أنهما غالبا ما يتعاركان ... أهذا صحيح ؟ أم لا ؟

اينيولد الصغير : نعم ، هذا صحيح .

جولو : نعم ؟ — واها ! واها ! — ولكن فى أى أمر يتعاركان ؟

اينيولد الصغير : فى أمر الباب .

جولو : كيف ؟ أمر الباب ؟ — بم تهرف فى الأمر ؟ — ولكن هيا ، فاشرح ما تقول ؛ لماذا يتعاركان فى أمر الباب ؟

اينيولد الصغير : لأن واحدا منهما لا يريد أن يكون البـــاب مفتوحا .

جولو : ومن الذى لا يريد أن يكون الباب مفتوحا ؟ — ايه ، لماذا يتشاحنان ؟

اينيولد الصغير : لا أعرف ، يا أبتاه ! ذلك بمناسبة النور .

جولو : لا أحدثك عن النور ؛ سنتحدث عنه بعد قليل . أحدثك عن الباب . أجب عما أسألك عنه ؛ يجب أن تتعلم كيف تتكلم ؛ آن الوقت .. لا تضع يدك هكذا فى فمك .. هيا ..

اينيولد الصغير : وا أبتاه ! وا أبتاه ! .. لن أفعل هذا بعد ذلك ..

جولو : ايه ؛ لماذا تبكى ؟ ماذا حدث ؟

اينيولد الصغير : آه ! آه ! يا أبتاه ، لقد آلمتنى ..

جولو : آلمتك ؟ — فى أى موضع آلمتك ؟ كان هذا بدون قصد منى ..

اينيولد الصغير : هنا ، فى ذراعى الصغير ..

جولو : كان هذا بدون قصد منى ؛ هيا ، لا تبكى أكثر من ذلك ، سأعطيك شيئا لك غدا ..

اينيولد الصغير : أى شىء ، يا أبى الصغير ؟

جولو : جعبة وسهام ؛ ولكن قل لى ما تعـــرفه فى موضوع الباب .

اينيولد الصغير : سهام كبيرة ؟

جولو : نعم ، نعم ؛ سهام كبيرة جدا — ولكن لماذا لا يريدان أن يكون الباب مفتوحا ؟ — هيّا ، أجبنى أخيرا ! — لا ، لا ؛ لا تفتح فمك لتبكى. لست غاضبا منك . هيا تحدث فى هدوء مثل پلياس وَالأم الصغيرة حين يكونان معا . فى أى شىء يتحدثان حين يجتمعان ؟

اينيولد الصغير : پلياس والأم الصغيرة ؟

جولو : نعم ؛ عم يتكلمان ؟

اينيولد الصغير : عنى ؛ دائما عنى .

جولو : وماذا يقولان عنك ؟

اينيولد الصغير : يقولان انى سأشب فتى طويل القامة .

جولو : آه ! يا لبؤس عيشى !.. أنا هنا مثل أعمى يبحث عن كنز له فى قاع المحيط ! .. أنا هنا مثل وليد تائه فى الغابة وأنت .. ولكن هيا ، يا اينيولد ، قد شرد لبى ، هيا تتحدث فى جد . پلياس والأم الصغيرة ، ألا يتحدثان أبدا عنى حين لا أكون هناك ؟

اينيولد الصغير : بلى ، بلى ، يا أبى الصغير ، يتحدثان دائما عنك .

جولو : أواه ! .. وما يقولان عنى ؟

اينيولد الصغير : يقولان انى سأكون طويلا مثلك .

جولو : أنت دائما بجانبهما ؟

اينيولد الصغير : نعم ، نعم ، دائما ، دائما ، يا أبى الصغير .

جولو : ألا يقولان لك أبدا أن تذهب لتلعب بعيدا .

اينيولد الصغير : لا ، يا أبى الصغير ، بل يخافان حين لا أكون معهما .

جولو : يخافان ؟ .. وما أمارات خوفهما عندك ؟

اينيولد الصغير : لأن أمى تقول دائما : لا تذهب بعيدا عنا ،

لا تذهب بعيدا عنا .. هما بائسان ، ولكنهما يضحكان .. وارحمتا لأمى !

جولو : ولكن هذا لا يدل على خوفهما .

اينيولد الصغير : بلى ، بلى ، يا أبى الصغير ؛ هى خائفة .

جولو : لماذا تقول انها خائفة ؟

اينيولد الصغير : يبكيان دائما فى الظلام .

جولو : أواه ! أواه !

اينيولد الصغير : هذا يبكى أيضا ..

جولو : نعم ، نعم ..

اينيولد الصغير : هى شاحبة ، يا أبتاه .

جولو : آه ! آه ! الصبر ، يا الهى ، الصبر ..

اينيولد الصغير : ماذا ، يا أبتاه ؟

جولو : لا شىء ، لا شىء ، يا بنى — رأيت ذئبا يمر فى الغابة — واذن هما على وفاق تام ؟ — أنا سعيد اذ أعلم أنهما على وفاق — أيتبادلان القبلات أحيانا ؟ — أليس كذلك ؟

اينيولد الصغير : يتبادلان القبلات ؟ يا أبتاه ؟ — لا ، لا — آه ! بلى ، يا أبتاه ، بلى ، بلى ؛ مرة .. مرة حين كانت السماء تمطر ..

جولو : تبادلا القبلات ؟ — لكن كيف ، كيف تبادلا القبلات ؟

اينيولد الصغير : هكذا ، يا أبتاه ، هكذا (يقبله قبلة على فمه ؛ وهو يضحك) آه ! آه ! لحيتك ، يا أبتاه ! .. تشكنى ! تشكنى ! صارت كلها شـــهباء ، يا أبتاه ، وشعرك أيضا ، كله أشهب ، كله أشهب .. (تضاء النافذة التى هما جالسان تحتها فى هذه اللحظة ، فيقع نور عليهما) . ايه ! ايه ! أضاءت أمى مصباحها ، يا لأمى ! لقد غمرنا النور يا أبتاه ، لقد غمرنا النور .

جولو : نعم ، بدأ الضوء يغمر ..

اينيولد الصغير : لنذهب الى هناك أيضا ، يا أبتاه ..

جولو : الى أين تريد الذهاب ؟

اينيولد الصغير : الى حيث الضوء ، يا أبتاه .

جولو : لا ، لا ، يا بنى : لنبق كذلك فى الظـلام .. فلا يعرف أحد ، لا يعرف أحد بعد .. ألا ترى هناك هؤلاء المساكين الذين يحاولون اشعال نار صغيرة فى الغابة ؟ — قد أمطرت السماء . ومن الناحية الأخـرى ، ألا ترى البستانى

الشيخ يحاول أن يرفع هذه الشجرة التى رمى بها الريح فى عرض الطريق ؟ — ولا يستطيع ؛ فالشجرة أكبر من طاقته ؛ والشجرة شديدة الثقل ، وستبقى فى الجانب الذى وقعت فيه . ولا علاج لهذا كله .. أعتقد أن پلياس مجنون ..

اينيولد الصغير : لا ، يا أبتاه ، ليس مجنونا ، بل هو طيب القلب جدا .

جولو : أتريد أن ترى أمك ؟

اينيولد الصغير : نعم ، نعم ؛ أريد أن أراها !

جولو : لا تحدث ضجيجا ؛ سأرفعك الآن حتى النافذة . وهى أعلى من أن أحمل اليها ، مع أنى فارع القامة .. (يرفع الطفل) لا تحدث أقل ضجيج ؛ والا خافت الأم خوفا مرعبا .. ألا تراها ؟ — أهى فى الحجرة ؟

اينيولد الصغير : نعم .. عجبا ! ما أشد الضوء !

جولو : هى وحدها ؟

اينيولد الصغير : نعم ، .. لا ، لا ، عمى پلياس هنا أيضا .

جولو : هو ! ..

اينيولد الصغير : آه ! آه يا أبتاه ! أوجعتنى ! ..

جولو : لا عليك ، اسكت ، لن أوجعك بعد ، انظر ، انظر ، يا اينيولد ! .. لقد ترنحت ، تكلم فى صوت خفيض . ماذا يفعلان ؟

اينيولد الصغير : لا شيء ، يا أبتاه ، ينتظران شيئا .

جولو : أقريب كلاهما من الآخر ؟

اينيولد الصغير : لا ، يا أبتاه .

جولو : و .. والسرير ؟ أهما قريبان منه ؟

اينيولد الصغير : السرير ، يا أبتاه ، لا أرى السرير .

جولو : اخفض صوتك أكثر ، أكثر ، والا سمعاك . هل يتحدثان ؟

اينيولد الصغير : لا ، يا أبتاه ، لا يتحدثان .

جولو : لكن ماذا يفعلان ؟ — لابد أنهما يفعلان شيئا .

اينيولد الصغير : ينظران الى النور .

جولو : كل منهما ؟

اينيولد الصغير : نعم ، يا أبتاه .

جولو : ولا يقولان شيئا ؟

اينيولد الصغير : لا ، يا أبتاه ، لا تطرف عيناهما .

جولو : لا يقترب أحدهما من الآخر ؟

اينيولد الصغير : لا ، يا أبتاه ، لا يتحركان .

جولو : هما جالسان ؟

اينيولد الصغير : لا ، يا أبتاه ، هما واقفان بجانب الجدار .

جولو : أباقيان هما لا يتحركان ؟ — ألا ينظر كلاهما للآخر ؟ ألا يقومان بأى ايماء ؟ ..

اينيولد الصغير : لا ، يا أبتاه — عجبا ! عجبا ! يا أبتاه ، عيناهما لا تطرفان أبدا .. أشعر بخوف مفزع ..

جولو : صه ! ألا يتحركان بعد ؟

اينيولد الصغير : نعم ، يا أبتاه — أنا خائف ، يا أبتاه ، دعنى أنزل !

جولو : من أى شىء ، اذن ، أنت خائف ؟ — انظر ! انظر !

اينيولد الصغير : لم أعد أجرؤ على النظر اليهما ، يا أبتاه ! .. دعنى أنزل ! ..

جولو : انظر ! انظر !

اينيولد الصغير : أف ! أف ! سأصرخ ، يا أبتاه ! — دعنى أنزل ! دعنى أنزل ! ..

جولو : تعال ، هنا نذهب لنرى ما حدث .

(يخرجان)

الفصل الرابع

المنظر الأول

طـــرقة فى القصر

(يدخل پلياس وميليزاند ويتلاقيان)

پلياس : أين تذهبين ؟ لابد أن أحادثك هذا المساء . فهل سأراك ؟

ميليزاند : نعم .

پلياس : أنا خارج من حجرة أبى . صحته أحسن من ذى قبل . وقال لنا الطبيب انه قد نجا .. وفى هذا الصباح ، برغم هذا ، يحدثنى قلبى أن هذا اليوم سينتهى ببلية . وتطن أذنى منذ زمن بجلجلة هذه البلية .. ثم ساءت حاله فجأة ؛ واليوم لم يعد الســـؤال الا عن حينه حين يحين . وقد فتحوا كل نوافذ حجرته . وهـــو يتكلم ، ويبدو ســـعيدا . ولا يتكلم هـــو — بعد — كلام انسان عادى ، ولكن أفكاره

لم تعـــد كلها تأتى من العالم الآخر .. قد عرفنى .وأمسك بيدى ، وقال لى وهو لا يزال فى سحنته الغريبة التى لازمته منـــذ مرضه : « أهذا أنت ، يا پلياس ؟ عجيب ، عجيب ، لم ألحظ ذلك قط ، فلك طلعة رزينة ودودة مثل أولئك الذين لن يعيشوا زمنـــا طويلا .. يجب أن تسافر ؛ يجب أن تسافر .. » هـــذا أمر غريب ؛ وسأبادر بطاعة أمره .. وكانت تستمع اليـــه وتبكى سرورا — ألم تلحظى هذا ؟ — وكأنما المنزل كله يحيا من جديد ، فيسمع المرء أهـــله يتنفسون ، ويســـمعهم يتكلمون ، ويسمعهم يمشون .. أصغى ؛ أسمع كلاما خلف هذا الباب . سريعا ، سريعا ، أجيبى سريعا ، أين سأراك ؟

ميليزاند : أين تريد ذلك ؟

پلياس : فى الحـديقة ؛ قريبا من ينبوع العميان ؟ — أتريدين ؟ — أتحضرين ؟

ميليزاند : نعم .

پلياس : ستكون الأمسية الأخيرة ؛ — سأسافر كما قال أبى . ولن ترينى بعد ذلك ..

ميليزاند : لا تقل هـــذا ، يا پلياس .. سأراك دائما ؛ وسأنظر اليك دائما ..

پلياس : عبثا ما تنظـرين .. سأكون بعيـــدا بحيث لن تستطيعى رؤيتى .. سأحاول الذهاب بعيدا جدا .. قلبى مملوء بالسرور على حين يظن أن على عاتقى ثقل السماء والأرض .

ميليزاند : ماذا حـدث ، يا پلياس ؟ — لم أعـــد أفهم ما تقول ..

پلياس : انصرفى ، انصرفى ، لنفترق . أسمع كلاما خلف هذا الباب .. هم الغرباء الذين وصـلوا الى القصر هذا الصباح .. هم على وشك الخروج.. لننصرف ؛ هم الغرباء ..

(يخرجان متفرقين)

المنظر الثانى

جنـــاح فى القصر

(يرى أركيل وميليزاند)

أركيل : الآن وقد نجا أبو پلياس ، وانزاح المرض عن القصر — والمرض للمـوت خادم عجوز — فقد عاد للدار أخيرا شىء من البهجة ، وشىء من أشعة الشمس .. وكان قد طال غيابهما ! — فمنذ مقدمك لا يعرف أهل القصر لهم حيـاة الا فى الهمس حول حجرة مغلقة .. وكنت أرثى لك حقـا ، يا ميليزاند .. لقـد جئت تجللك البهجة ، شأن طفل يترقب حضور حفل عيد ، وما كدت تدخلين الدهليز حتى رأيت وجهك قد تبدل ، وربما تبدلت روحك أيضا ، كما يتبـدل وجه المرء بالرغم منه حين يدخـل فى الظهيرة كهفا شديد الظلام شـديد البرودة ، ولم أعد ، منذ تلك اللحظة ، ولسبب هذا كله ، أتهمك أغلب الوقت . وكنت أرقبك ، فأجدك

أمامى كأنك لاهية ، ولكن سحنتك الغريبة كانت تنم عن شرود ذهن ، شأن انسان يدأب على التوجس من وقوع مصيبة كبيرة ، وهو واقف فى وضح الشمس ، وفى حديقة جميلة .. لا أستطيع أن أشرح لك كل هذا بكلام واضح.. حسبك قولى أنى كنت أحزن حين كنت أراك على تلك الحال ، فأنت ذات شباب غض وجمال رائع ، فحرام أن تعيشى ليلا ونهارا تتنسمين أنفاس الموت .. ولكن هذا كله سيتبدل الآن . ولعل أنفع ثمرة جنيتها فى حياتى أننى فى السن التى بلغت ، قد اكتسبت الايمان بأن الحوادث تأتى فى أوقاتها وفية بمواعيدها ، وقد رأيت دائما أن كل مخلوق ينعم ببهجة الشباب والجمال يستجلب حوادث لها مثله بهجة الشباب ، حوادث سعيدة جميلة .. وسيتم على يديك أنت فتح باب العهد الجديد الذى يتراءى لى .. تعالى هنا ؛ لماذا تمكثين هناك صامتة مرخية البصر ؟ لم أقبلك حتى الآن الا مرة واحدة يوم مقدمك ؛ ومع ذلك فان

الشيوخ فى حاجة لأن يلمسوا بشفاههم جبين امرأة أو خد طفل ، ليطول وثوقهم بأن الحياة زكية الأنفاس ، وليطردوا عنهم شبح الموت . أتخافين شفتى رجل عجوز ؟ كم كنت أرثى لك فى الشهور الماضية !

ميليزاند : لم أكن بائسة .. يا جدى .

أركيل : لعلك كنت من بين البائسين الذين لا يدركون أنهم بائسون .. دعينى أنظر اليك هكذا ، عن قرب ، لحظة .. فما أشد حاجة المرء الى رؤية الجمال وهو على حافة الموت ..

(يدخل جولو)

جولو : يرحل پلياس هذا المساء .

أركيل : على جبهتك دم — ماذا فعلت ؟

جولو : لا شيء ، لا شيء .. عبرت سياجا من الشوك ..

ميليزاند : اخفض رأسك قليلا ، يا سيدى .. لأمسح جبهتك ..

جولو : لاأريد أن تلمسينى ، أتفهمين ؟ اليك عنى ، اليك عنى ! — لا أكلمك — أين سيفى ؟ — أتيت لأبحث عن سيفى ..

ميليزاند : هنا ، على كرسى المصلى .

جولو : أحضريه — (الى أركيل) منذ هنيهة عثرنا أيضا على فلاح مات من الجوع ، على شط البحر ، حتى ليحسب المرء أنهم مصرون جميعا على أن يموتوا على مشـــهد منا — (الى ميليزاند) سيفى ، أين هو ؟ — لماذا ترعشين هكذا ؟ — لن أقتلك . كنت لا أريد الا أن أتفحص صفحة السيف . لا أستعمل السيف فى القتل . لماذا تتفحصنى نظراتك كأنى مسكين ؟ أنا لا آتى أطلب منك الصدقة . أتأملين رؤية شىء فى عينى دون أن أرى أنا شيئا فى عينيك ؟ أتعتقدين أن هنـــاك أمرا أعلمه ؟ — (الى أركيل) أترى هاتين العينين النجلاوتين ؟ يحسب المرء أنهما فخورتان ببراءتهما .. هل لك فى أن تقول لى ماذا ترى فيهما ؟

أركيل : لا أرى فيهما الا براءة سامية .

جولو : تقول : براءة ســـــامية ! .. انهما أسمى من البراءة ! .. هما أكثر براءة من عينى حمل .. لقد خلق الله البراءة على غرارهما ! تقول : براءة

سامية ! استمع الى : أنا منهما جد قريب حتى لأحس بنسائم أهدابهما حين تطرفان ، على أن الأسرار الكبرى فى العالم الآخر أقل انبهاما علىّ من أهون سر فى هذين العينين ! .. تقول : براءة سامية ! ان فيهما شيئا يفوق البراءة ، كأنهما ماء رقراق فى حضن الجبال تستحم فيه الملائكة من الصباح للمساء ! .. انى خبير بهاتين العينين ! لقد رأيتهما تعملان عملهما ! أغمضيهما ! أغمضيهما ! والا عرفت كيف أغمضهما أنا الى الأبد ! .. لا تضعى هكذا يدك على عنقك ، فكلامى صريح لا تعقيد فيه .. ولا أضمر من ورائه شيئا .. ولو كنت أضمر شيئا ، فما مانعى أن أكاشفك به ؟ آه ! آه ! — لا تحاولى الهرب ! — تعالى الىّ ! — أعطنى يدك ! آه ! ما أشد اتقاد يديك ! اليك عنى ! اليك عنى ! انى أشمئز من لمستك. تعالى الىّ ! لقد حيل بينك وبين الهرب الآن ! — (يجتذبها من شعرها) ستتبعيننى وأنت جاثية على ركبتك ! — هنا اجثى على

ركبتيك ! — على ركبتيك أمامى ! آه ! آه !
أخيرا أصبح لشعرك الطويل نفع ما ! .. هأنذا
أجذب رأسك الى اليمين ، ثم الى اليسار ! —
من اليسار ، ثم الى اليمين ! — يا شبيهة
أبسالون * ! أبسالون ! — ومن الأمام الى
الخلف ! وأهوى به الى الأرض ! الى الأرض !
أترين ، أترين ، هأنذا أخذت أضحك مثل شيخ
هرم ..

أركيل : جولو ! ..

جولو : لك أن تفعلى ما يروق لك — فأنت ترين انى
لا أبالى بما تفعلين — لأنى أصبحت شيخا
هرما ، ثم انى لست بجاسوس .. سأنتظر
ما تسوقه الصدف ، وحينئذ .. أف ! وحينئذ !
اذا فعلت شيئا فسأفعله بحكم عادة الناس ،
لا أكثر ولا أقل ، بحكم عادة الناس ..

(يخرج)

---

* Absalon ، هو ابن لداود ، تمرد عليه ، ثم هزم فى الحرب ، فهرب ، وكان شعره طويلا ، فمر بشجرة علق شعره بفروعها ، فظل معلقا بها . وكان يتتبعه قائد من قواد أبيه ، فرماه بثلاث نبال . المترجم

أركيل : ماذا به اذن ؟ — أهو سكران ؟

ميليزاند : لا ، لا ؛ ولكنه لم يعـــد يحبنى .. لست سعيدة ! .. لست سعيدة ! ..

أركيل : لو كنت خالق الكون لأدركتنى الشفقة بقلوب الناس ..

المنظر الثالث

شرفة فى القصر

«بينيولد الصغير»: أف ! ما أثقل هذا الحجر ! .. هو أثقل فى الوزن منى .. هو أثقل من كل شىء .. وأرى كرتى الذهبية بين الصخرة وهذا الحجر اللعين ، ولا يمكننى أن أمد لها يدى .. فذراعى الصغيرة ليست من الطول بحيث أبلغها .. وهذا الحجر لايمكن رفعـــه .. لا أستطيع أن أرفعه .. ولا يستطيع انسان أن يرفعه .. هو أثقل من المنزل كله .. حتى لكأن له جـذورا مثبتـة بالأرض .. (يسمع من بعيد ثغاء قطيع) — أواه ! أواه ! أسمع نواح الخراف .. (يتقدم لحافة الشرفة ليستطلع الخبر) عجبا ! لقـد أسرعت الشـــمس فى الغـــروب .. ها هى ذى الخراف الصـغيرة تئوب . انها تئوب . ما أكثر عددها ! .. ما أكثر عددها ! .. هى من الظلام فى رهبة .. تسرع الخطى ! .. أصبحت

تكاد يتعذر عليها التقدم فى المسير .. انها تنوح ، تنوح ! وتجرى ! .. آه ! آه ! لم تعد تعرف أين تذهب .. لم تعد تنوح . هى ترقب . منها ما يريد المضى يمينا .. كلها تريد المضى يمينا .. ولا تستطيع ! يرميها الراعى بالحجارة .. آه ! .. آه ! ستمر من هنا .. انها تطيع الراعى ! تطيعه ! ستمر حالا تحت الشرفة ، ستمر تحت الصخور .. وسأراها عن قرب .. عجبا ! عجبا ! ما أكثر عددها ! .. ما أكثره .. الطريق كله ممتلىء بها .. الآن تصمت كلها .. أيها الراعى ! أيها الراعى ! لماذا لم يعد يصدر عنها صوت ؟ .

الراعى : لأن هذا ليس طريق المراح ..

اينيولد الصغير : الى أين هى ذاهبة ؟ — أيها الراعى ! أيها الراعى ! — الى أين هى ذاهبة ؟ — لم يعد الراعى يسمعنى . والخراف تسرع فى مسيرها . لم تعد تحدث جلبة .. لقد فاتها طريق المراح .. الى أين تذهب لتنام هذه الليلة ؟ — أواه ! أواه ! اشتدت حلكة الليل .. لابد لى أن أذهب لأتكلم مع انسان ..

المنظر الرابع

ينبوع فى حديقة القصر

(يدخل پلياس)

پلياس : هذا هو المساء الأخير . المساء الأخير .. ينبغى أن ينتهى كل شىء .. لهوت لهو طفل حول شىء لم أفطن له .. لهوت فى أحلامى حول فخاخ القدر .. من هذا الذى أيقظنى فجأة ؟ سأعجل بالهرب ، وأنا أصرخ من فرط الفرح والألم ، شأن كفيف يفر من حريق يعم داره .. سأبادر بقولى لها انى سأهرب .. فان أبى قد جاوز منطقة الخطر ، ولم يعد لى مبرر لخداع نفسى.. لقد تقدم الليل ؛ ولم تحضر .. خير لى أن أمضى دون أن أراها مرة أخرى .. ينبغى لى هذه المرة أن أملأ منها عينى حتى لا تخوننى ذاكرتى كعهدى بها .. ويحدث لى أحيانا أنى أحس بأن قرنا كاملا قد مضى منذ رأيتها آخر مرة .. لم تعانق — بعد — نظرتى نظرتها ..

فبماذا أتزود اذا مضت وهذه الحال حالى .. وما تقع الذكريات كلها .. كأنما سيكون شأنها حين أحملها شأن ماء قليل أحمله فى قربة من نسيج رقيق . ينبغى أن أراها للمرة الأخيرة ، وأنفذ الى أعماق قلبها . ينبغى أن أكاشفها بكل ما أخفيته عنها .

(تدخل ميليزاند)

ميليزاند : پلياس !

پلياس : ميليزاند ! — أهذه أنت ، يا ميليزاند ؟

ميليزاند : نعم .

پلياس : تعالى الىّ . لا تبقى على حافة ضوء القمر . تعالى هنا . لدينا كثير من القول تتناجى به .. تعالى هنا ، فى ظل الزيزفونة .

ميليزاند : دعنى فى الضوء ..

پلياس : يمكن للعيون أن ترانا من نوافذ البرج . تعالى هنا ؛ هنا ، ليس بيننا شىء نخشى افتضاحه — حذار ، قد يلحظنا بعض الناس ..

ميليزاند : أريد أن يرانا الناس .

بلياس : ماذا بك ؟ — هل استطعت الخروج من غير أن يحس أحد ؟

ميليزاند : نعم ، كان أخوك نائما .

بلياس : تأخر بنا الوقت — فبعد ساعة ستقفل الأبواب . علينا أن نحترس . لماذا حضرت فى وقت جد متأخر ؟

ميليزاند : أقلق أخاك كابوس مزعج . وعلق ثوبى بمسامير الباب . انظره ، تراه ممزقا ضاع علىّ كل هذا الوقت ، فجئتك جريا ..

بلياس : يا لحبيبتى المسكينة ميليزاند ! .. يكاد يعرونى خوف آن ألمسك .. أنت ما تزالين لاهثة الأنفاس كعصفور مطارد .. أمن أجلى ، من أجلى تفعلين كل هذا ؟ أسمع دقات قلبك ، فكأنه قلبى .. تعالى هنا .. اقربى منى أكثر ، أكثر ..

ميليزاند : لماذا تضحك ؟

بلياس : لا أضحك ، — أو ربما أضحك سرورا دون أن أدرى .. على أن البكاء أجدر بى ..

ميليزاند : قد أتينا الى هنا منذ زمن طويل .. انتى أذكر ..

بلياس : نعم .. نعم .. منذ شهور طويلة — حينئذ

لم أكن قد فطنت .. أتعرفين لماذا طلبت اليك الحضور هنا هذا المساء ؟ .

ميليزاند : لا ..

پلياس : ربما تكون هذه هى المرة الأخيرة التى أراك فيها .. فعلىّ أن أرحل ولا أعود أبدا ..

ميليزاند : لماذا تقول دائما انك راحل ؟

پلياس : أو علىّ أن أقول لك ما تعرفينه من قبل ؟ ألا تعرفين ما أزمع قوله لك ؟

ميليزاند : كلا ، كلا ، لا أعرف شيئا .

پلياس : ألا تعرفين لماذا أنأى عنك ؟ .. (يقبلها فجأة) أحبك ..

ميليزاند : أحبك كذلك ..

پلياس : آه ! ماذا قلت ، يا ميليزاند ! .. كدت لا أسمع ما قلت ! لقد أذبنا ما بيننا من جليد بطعنه بسيوف من نار .. تبوحين لى بصوت كأنه آت من آخر الدنيا !.. كدت لا أسمعك.. أتحبيننى؟ أتحبيننى ؟ .. منذ متى تحبيننى ؟

ميليزاند : منذ قديم .. منذ رأيتك ..

پلياس : آه ! بالبراءة ردك .. اخال أن صوتك قد عبر

البحر فى فصل الربيع ! .. لم أسمع قط مثله من قبل .. كأنما ينزل على قلبى نزول الغيث ! تبوحين لى ببراءة كل البراءة ! شأن الملاك اذا سئل ! .. هيهات لى أن أضدق أذنى .. لماذا تحبيننى ، يا ميليزاند ؟ — مرة أخرى أسألك : لماذا تحبيننى — أحقا ما تقولين ؟ — أأنت لا تخدعيننى ؟ — أتكذبين قليلا من أجل أن أبتسم ؟ ..

ميليزاند : كلا ، لا أكذب أبدا ، لا أكذب الا على أخيك ..

پلياس : آه ! يا لبراءة ردك ! .. يا لصوتك ! يا لصوتك ! انه يفوق الماء عذوبة وصفاء ! .. أخاله الماء الزلال على شفتى ! .. اخاله الماء الطاهر على يدى .. أعطنى ، أعطنى يديك .. واها ! يداك ، كم هما لطيفتان ! .. لم أكن أعرف أنك على هذا القدر من الجمال ! .. لم أر قط شيئا فى مثل هذا الجمال ، قبلك .. كنت قلقا أبحث عبثا عن طلبتى فى كل مكان فى المنزل .. وفى الحقول .. فما وجدت الجمال .. والآن وجدتك ! .. وجدتك ! .. لا أعتقد أن فى هذه

الدنيا من هى أجمل منك ! .. أين أنت ؟ — لم أعد أسمعك تتنفسين ..

ميليزاند : ذلك أنى أنظر اليك ..

پلياس : لم كل هذا الهم فى نظرتك الىّ ؟ — ها نحن أولاء فى الظلال — وتحت الشجرة ظلام كثيف تعالى فى النور . لا يمكن أن نرى كم نحن سعداء . تعالى ، تعالى ؛ فلم يبق لنا الا وقت جد ضئيل ..

ميليزاند : كلا ، كلا ؛ لنبق هنا .. أنا أشد قربا منك حين أكون فى الظلام ..

پلياس : أين عيناك ؟ — لن تهـــربى منى ؟ — أنت لا تفكرين فىّ هذه اللحظة .

ميليزاند : بلى ، بلى ، لا أفكر الا فيك ..

پلياس : كنت تنظرين ناحية أخرى ...

ميليزاند : كنت أراك فى الناحية الأخرى ..

پلياس : أنت شاردة اللب .. ماذا بك اذن ؟ — أنت فيما يبدو غير سعيدة ..

ميليزاند : نعم ، نعم ، أنا سعيدة ، ولكنى حزينة ..

پلياس : غالبا ما يكون المرء حزينا حينما يحب .

ميليزاند : أبكى دائما حينما أفكر فيك ..

پلياس : وأنا أيضا .. أنا أيضا يا ميليزاند .. أنا منك جد قريب ، أبكى من السرور ، ومع ذلك .. (يقبلها مرة أخرى) — أنت عجيبة حين أقبلك هكذا .. أنت من الجمال بحيث يخال المرء أنك على وشك الموت ..

ميليزاند : وأنت أيضا ..

پلياس : هكذا الحال ، هكذا .. لا نفعل نحن ما نريد .. لم أحبك أول مرة رأيتك ..

ميليزاند : وأنا كذلك .. كنت خائفة ..

پلياس : لم أكن أستطيع أن أنظر الى عينيك .. كنت أريد أن أنصرف عنك من فورى .. ثم ..

ميليزاند : أما أنا فكنت لا أريد أن أحضر .. لا أعرف — بعد — لماذا كنت خائفة حين أحضر ..

پلياس : ما أكثر الأشياء التى لا تعرفها أبدا .. نظل ننتظر دائما ، ثم ما هذا الصوت ؟ — يغلقون الأبواب ! ..

ميليزاند : نعم ، أغلقت الأبواب ..

بلياس : لم نعد نستطيع الدخول ! — أتسمعين المغاليق ! أصغى ! أصغى .. يا لها من سلاسل ثقال ! .. لم تعد لنا حيلة ! لم تعد لنا حيلة ! ..

ميليزاند : هذا خير ! هذا خير ! هذا خير !

بلياس : أأنت تقولينه ؟.. مرحى ! مرحى ! لم يعد الأمر متوقفا على ارادتنا ! .. تم الضياع ، وتمت النجاة ! تمت النجاة هـــذا المساء ! تعالى ! تعالى ! .. قلبى يخفق كمجنون فى أعمـــاق صدرى .. (يعانقها) . أصغى ! أصغى ! ان خفق قلبى يكاد يخنقنى .. تعالى ! تعالى ! واها ! ما أجمل حنان الظلام !

ميليزاند : ثمت انسان خلفنا ! ..

بلياس : لا أرى أحدا ..

ميليزاند : سمعت صوتا ..

بلياس : لا أسمع سوى قلبك فى الظلام ..

ميليزاند : سمعت تكسر الأوراق الجافة ..

بلياس : هى الريح التى صمتت فجأة .. وكانت قد هدأت ونحن نتعانق ..

ميليزاند : ما أطول ظلينا هذا المساء ! ..

بلياس : يتعاقان حتى أقصى الحديقة .. واها ! كم يتعاقان بعيدا منا ! انظرى ! انظرى ! ..

ميليزاند : آه — آه ! — هو خلف الشجرة .

بلياس : من هو ؟

ميليزاند : جولو !

بلياس : جولو ؟ — أين هو ؟ — لا أرى شيئا ..

ميليزاند : هناك عند نهاية ظلينا ..

بلياس : نعم ، نعم ؛ رأيته .. علينا ألا نبتعد فجأة ..

ميليزاند : انه يحمل سيفه .

بلياس : ليس معى سيفى ..

ميليزاند : لقد رآنا ونحن نتعانق .

بلياس : انه لا يعرف أننا قد رأيناه .. لا تتحركى ؛ لا تديرى رأسك .. والا أسرع الينا .. سيبقى هناك ما دام يعتقد أننا لم نحس به .. هو يرقبنا .. لا يزال ثابتا لا يتحرك .. اذهبى ، اذهبى حالا من هذه الناحية .. سأنتظره .. سأوقفه ..

ميليزاند : لا ، لا ، لا ! ..

پلياس : اذهبى ، اذهبى ! قـــد رأى كل شىء ! .. سيذبحنا ! ..

ميليزاند : أحسن ! أحسن ! أحسن ! ..

پلياس : هو قادم ! هـــو قادم ! .. أعطنى فمك ! .. فمك ! ..

ميليزاند : نعم ! .. نعم ! .. نعم ! ..

(يقبل كل منهما الآخر فى هيام)

پلياس : واها ! واها ! كل النجوم تتهاوى .

ميليزاند : تتهاوى علىّ أيضا ! .. علىّ أيضا ! ..

پلياس : مرة أخرى ! مرة أخرى ! .. أعطنى فمك ! أعطنى ! ..

ميليزاند : هو لك كله .. كله .. كله ..

(ينقض عليهما جولو والسيف فى يده ، ويضرب پليـــاس ، فيسقط على حـافة الينبوع . تهرب ميليزاند مذعورة) .

ميليزاند : أف ! أف ! لقد خاتنى الشجاعة ! .. لقـد خاتنى الشجاعة ! ..

(يقتفى جولو أثرها فى الغابة وهو صامت)

الفصل الخامس

المنظر الأول

حجرة أرضية فى القصر

الخادمات مجتمعات ، فى حين يلعب أطفال فى الخارج أمام باب واطىء من أبواب الحجرة

الخادم العجوزة : ستعلمن ، ستعلمن ، أى بناتى ، فالموعد هـذا المساء — وسيجيئنا الخبر عما قليل ..

خادم أخرى : أصبحوا لا يدرون ماذا يفعلون ..

خادم ثالثة : لننتظر هنا ..

خادم رابعة : سنعرف متى ينبغى أن نصعد ..

خادم خامسة : حينما تحين اللحظة ، سنصعد من تلقاء أنفسنا ..

خادم سادسة : لقد سكتت كل الأصوات فى الدار ..

خادم سابعة : يجب اسكات الأطفال الذين يلعبون أمام باب الحجرة .

خادم ثامنة : سيسكتون من تلقاء ذاتهم بعد قليل ..

خادم تاسعة : لم تحن اللحظة بعد ..

(تدخل خادم عجوزة)

الخادم العجوزة : لم يعد يستطيع انسان أن يدخل حجرتها . استرقت السمع أكثر من ساعة . ما من نأمة سوى طنين الذباب على الأبواب .. لم أسمع شيئا ..

الخادم الأولى : هل تركوها وحدها فى حجرتها ؟

الخادم العجوزة : لا لا ، أعتقد أن الحجرة حافلة بالناس .

الخادم الأولى : سيحضرون ، سيحضرون بعد قليل ..

الخادم العجوزة : يا الهى ! يا الهى ! ليست السعادة هى التى دخلت المنزل .. لا يستطيع أحد الكلام ، ولكن لو كنت أستطيع أن أقول ما أعرف ..

الخادم الثانية : أأنت التى وجدتهما أمام الباب ؟

الخادم العجوزة : نعم ، نعم ، أنا التى وجدتهما . يقول البواب انه هو الذى رآهما أولا ، ولكنى أنا التى أيقظته . كان ينام على بطنه ويأبى أن يقوم — والآن يأتى ليقول : « أنا الذى رأيتهما أولا » . أهذا عدل ؟ — انظرى ، أحرقت جلدى وأنا أشعل مصباحا لأهبط الى الكهف — ماذا كنت أريد أن أفعل آنذاك فى الكهف ؟ — لم يعد فى امكانى أن أتذكر — أخيرا وجدت نفسى

أستيقظ فى الساعة الخامسة ، لم يكن النهار قد أسفر بعد ، قلت فى سرى : أعبر الآن الطرقة ، ثم أفتح الباب . فاذا بى أنزل السلم على أطراف قدمىّ ، وأفتح الباب كما لو كان بابا عاديا .. يا الهى ! يا الهى ! ماذا رأيت ! خمنى قليلا ماذا رأيت ! ..

الخادم الأول : هل كانا أمام الباب ؟

الخادم العجوزة : كانا منطرحين على الأرض أمام الباب ! شأن فقراء جياع .. قد حضن كل منهما الآخر ، كأنهما طفلان مذعوران .. كانت الأميرة الصغيرة تكاد تلفظ آخر أنفاسها ، أما جولو فكان لا يزال سيفه فى جنبه .. وكان على العتبة بقع من الدم ..

خادم ثانية : ينبغى اسكات الأطفال .. هم يصيحون بكل قواهم أمام الباب ..

خادم ثالثة : من شدة صياحهم لم يعد يسمع أحدنا الآخر ..

خادم رابعة : لم تبق لنا حيلة معهم ، قد حاولت فلم أفلح ..

الخادم الأول : أصحيح أنه يكاد يبرأ من جراحه ؟

الخادم العجوزة : من ؟

الخادم الأولى : جولو الكبير .

الخادم الثالثة : نعم ، نعم ، قد قادوه الى حجرة زوجه . منذ قليل التقيت بهما فى الطرقة . وهم يسندونه كما لو كان سكران . ولا يزال عاجزا عن المشى وحده .

الخادم العجوزة : عجز أن يصيب جسده بطعنة قاتلة لشدة ضخامته . أما هى فتكاد اصابتها لا ترى ، ومع ذلك فانها هى التى على وشك الموت .. أتتصورين ؟

الخادم الأولى : أرأيت الاصابة ؟

الخادم العجوزة : رأيتها بعينى ، كما أراك الآن ، يا بنية — رأيت كل شىء صدقينى .. كنت أول من رأى الاصابة .. لم تكن سوى جرح صغير فى جنبها الأيسر ، تحت ثديها اللطيف ، جرح صغير لو كان بحمامة لما قتلها . أفهذا أمر معقول ؟

الخادم الأولى : نعم ، نعم ، لابد أن هناك سرا ما ..

الخادم الثانية : نعم ، لا تنسوا أنها وضعت منذ ثلاثة أيام ..

الخادم العجوزة : هذا حق ! .. لقد وضعت على الفراش الذى ستموت فوقه ، أليس فى هذا دلالة بالغة ؟ يا له

من طفل ! أرأيته ؟ — ابنة ضئيلة حتى لا يشتهى فقير أن تولد له .. جسد نحيل شاحب كالشمع أهلّ على الدنيا قبل أوانه بوقت طويل .. جسد نحيل شاحب كالشمع ، ينبغى لكى يعيش أن يدثر بصوف حمل .. نعم ، نعم ؛ لم تكن السعادة هى التى أهلّت على البيت ..

الخادم الأولى : نعم ، نعم ؛ هكذا قضت ارادة الله ..

الخادم الثالثة : وهى هى حال السيد الطيب پلياس .. أين هو ؟ — لا يدرى أحد خبره ..

الخادم العجوزة : بلى ، بلى ؛ يعرف كل الناس خبره .. ولكن لا يجرؤ انسان أن يتحدث عنه .. امتنع الحديث بتاتا .. لم يعد انسان ينطق الحقيقة .. أما أنا فأعرف أنهم وجدوه فى قاع ينبوع العميان .. لكن أحدا لم يستطع أن يراه ، أى أحد .. وهكذا لا يعرف أحد الخبر الا حين يتعذر كتمانه ..

الخادم الأولى : لم أعد أجرؤ أن أنام هنا ..

الخادم العجوزة : اذا حل الشقاء بدار فمن العبث تجاهله ..

الخادم الثالثة : ولكن لا مفر من أن يجد طريقه اليكم ..

الخادم الأولى : هم خائفون منا الآن ..

الخادم الثانية : يمسكون جميعا عن الكلام ..

الخادم الثالثة : واذا ساروا فى الطرقات غضوا من أبصارهم .

الخادم الرابعة : ولا يتحدثون الا همسا .

الخادم الخامسة: حتى ليحسب المرء أنهم ارتكبوا الجريمة جميعا معـا ..

الخادم السادسة : ولا يعرف أحد ما فعلوا ..

الخادم السابعة : ماذا علينا أن نفعل حين يكون السـادة فى خوف ؟ ..

(لحظة صمت)

الخادم الأولى : لم أعد أسمع الأطفال يصيحون .

الخادم الثانية : هم جالسون أمام الباب .

الخادم الثالثة : قد عانق كل منهما الآخر .

الخادم العجوزة : لم أعد أسمع شيئا فى المنزل ..

الخادم الأولى : لم يعد يسمع حتى تنفس الأطفال ..

الخادم العجوزة : تعالين ، تعالين ؛ آن أن نصعد ..

(يخرجن جميعا فى صمت)

المنظر الثانى

جنـــاح فى القصر

يرى أركيل وجولو والطبيب فى ركن من الحجـــرة . ميليزاند ملقاة على سريرها

الطبيب : ليس هذا الجرح الصغير هو الذى يميتهـــا ؛ فلن يموت طائر لو أنه أصيب به .. واذن لست أنت الذى قتلتها ، ســيدى الطيب القلب ؛ فلا تجزع هكذا .. لم يكن فى استطاعتها أن تعيش ، قد ولدت بلا سبب .. لتموت ؛ وتموت بلا سبب .. ثم لم يقل أحد اننا لن ننقذها ..

أركيل : لا ، لا ؛ يخيل الينا أننا نغالى فى التزام الصمت فى حجرتها بالرغم منا .. وليست هذه أمارة طيبة .. انظر كيف تردد أنفاسها وهى نائمة .. ترددها فى تؤدة ـ حتى لنحسب أن روحها قد همدت الى الأبد ..

جولو : قد قتلت بلا سبب ! أليس فى هـــذا ما يبكى الجماد ! .. كانا يتعانقان مثل أطفال صغار ..

كانا يتعانقان ، لا شيء غير العناق ، عنـاق أخ وأختَ .. أما أنا ، فلم أتريث لحظة .. قد فعلت فعلتى بالرغم منى ، صدقونى .. فعلتها بالرغم منى ..

الطبيب : حذار ، أحسب أنها صحت ..

ميليزاند : افتحوا النافذة .. افتحوا النافذة ..

أركيل : أتريدين أن أفتح هذه ، يا ميليزاند ؟

ميليزاند : لا ، لا ، النافذة الكبيرة .. من أجل أن أرى ..

أركيل : أليس هواء البحر أبرد من أن يحتمل هـذا المساء ؟

الطبيب : افتحها .. افتحها ..

ميليزاند : شكرا .. أهذه هى الشمس التى تغرب ؟

أركيل : نعم ، هذه هى الشمس تغرب من وراء البحر ، الوقت متأخر — كيف حالك ، يا ميليزاند ؟

ميليزاند : بخير ، بخير — لماذا تسألنى هذا السؤال ؟ لم أكن قط أحسن صحة مما أنا عليه الآن — ومع ذلك يبدو لى أنى أعرف شيئا ..

أركيل : ماذا تقولين ؟ — لا أفهمك ..

ميليزاند : وكذلك أنا لا أفهم كل ما أقول ، أصغ الىّ ..

لا أعرف ما أقول .. لا أعرف ما أعرف .. لم أعد أقول ما أريد ..

أركيل : بلى ، بلى يقينا .. أنا سعيد كل السعادة أن أسمعك هكذا تتكلمين ، لقد غلبك شيء من الهذيان فى هذه الأيام ، فلم يعد يفهمك أحد .. ولكن كل هذا قد ولى الآن وانقضى ..

ميليزاند : لا أعرف .. — أأنت وحدك فى الحجرة يا جدى ؟

أركيل : لا ، معى كذلك الطبيب الذى شفاك ..

ميليزاند : آه ! ..

أركيل : ومعنا كذلك شخص آخر ..

ميليزاند : من هو ؟

أركيل : هو .. ينبغى ألا تنزعجى .. لا يريد بك أقل شر ، تأكدى من ذلك .. اذا كنت خائفة فانه سيذهب .. انه بائس كل البؤس ..

ميليزاند : من هو ؟

أركيل : هو .. هو زوجك .. هو جولو .

ميليزاند : جولو هنا ؟ لم لا يقترب منى ؟

جولو : ميليزاند .. ميليزاند ..

ميليزاند : أهذا أنت ، جولو ؟ كدت لا أعرفك .. ذلك أن شمس المساء فى عينى .. لماذا تنظر الى الجدران ؟ قد نحفت وهرمت .. أو قد مضى زمن طويل منذ رأيتنى ورأيتك ؟

جولو : هل لكما أن تبتعدا لحظة ، يا صديقىّ .. سأترك الباب مفتوحا على مصراعيه .. لحظة فحسب .. أريد أن أفضى اليها بشىء ، والا شق على أن أموت .. هل لكما ؟ — اذهبا حتى نهاية الطرقة ، ويمكنكما الرجوع حالا .. لا ترفضا هذا الطلب .. أنا بائس .. (يخرج أركيل والطبيب) — ميليزاند أتشفقين علىّ كما أشفق عليك ؟ .. ميليزاند ؟ .. هل تغفرين لى ، يا ميليزاند ؟ ..

ميليزاند : نعم ، نعم ، أغفر لك .. ولكن أغفر لك ماذا ؟

جولو : فعلت بك شرا كبيرا ، يا ميليزاند .. لا أستطيع أن أقول لك الشر الذى فعلت بك .. ولكنى أراه ، أراه واضحا كل الوضوح اليوم .. منذ اليوم الأول .. وكل مالم أكن أعرفه حتى الآن ، يثب أمام عينى هذا المساء .. وهذا كله ذنبى

كل الذى حدث ، كل الذى سيحدث .. لو أستطيع أن أقوله ، لرأيته كما أراه ! .. أرى كل شىء ، أرى كل شىء ! .. ولكنى كنت أحبك كثيرا !.. كنت أحبك حبا تجاوز كل حد ! .. ولكن الآن هناك انسان على وشك أن يموت .. هو أنا على وشك أن أموت .. وأريد أن أعرف .. وأريد أن أسألك .. عسى ألا يخنقك علىّ هـذا السؤال ، أريد .. يجب أن تقولى الحقيقـة لانسان على وشك الموت .. يجب أن يعـرف الحقيقـة ، والا فلن يستطيع أن ينـام .. أو تقسمين لى أنك تقولين الحقيقة ..

ميليزاند : نعم .

جولو : هل أحببت پلياس ؟

ميليزاند : نعم يقينا ، أحببته . أين هو ؟

جولو : ألا تفهمينى ؟ — ألا تريدين أن تفهمينى ؟ — يخيل الىّ .. يخيل الى .. اذن ، اليك السؤال : أسألك ما اذا كنت أحببته حبا محرما ؟ .. هل أنت .. هل كنتما آثمين ؟ قولى ، قولى ، نعم ، نعم ، نعم ؟

ميليزاند : كلا ، كلا ؛ لم نكن آثمين .. — لماذا تسألنى هذا السؤال ؟

جولو : ميليزاند ! .. قولى لى الحقيقة بحق الله !

ميليزاند : لماذا ؟ ألم أقل الحقيقة ؟

جولو : حذار من التمادى فى الكذب وأنت مشرفة على الموت !

ميليزاند : من المشرف على الموت ؟ — أهو أنا ؟

جولو : أنت ، أنت ! وأنا ، أنا أيضا ، فى اثرك ! .. ونحن فى حاجة أخيرا الى الحقيقة ، أتفهمين ؟ ! قولى لى كل شىء ! قولى لى كل شىء ! سأغفر لك كل شىء ..

ميليزاند : لماذا سأموت ؟ — لم أكن أعرف ..

جولو : تعرفين الآن ! .. حان الوقت ! حان الوقت ! البدار ! البدار ! .. الحقيقة ! الحقيقة ! ..

ميليزاند : الحقيقة .. الحقيقة ..

جولو : أين أنت ؟ — ميليزاند ! — أين أنت ؟ — هذا شىء لا يصدقه العقل ، ميليزاند ! أين أنت ؟ أين تمضين (يبصر أركيل والطبيب على باب الحجرة) — نعم ، نعم ؛ يمكنكما أن

تدخلا . لم أعرف شيئا ، ولم تعد فى يدى حيلة .. فات الأوان ، انها أصبحت بمنأى منا .. لن أعرف أبدا ! .. سأموت هنا مثل أعمى ! ..

اركيل : ماذا فعلت ؟ أنت على وشك أن تقتلها ..

جونو : سبق أن قتلتها ..

اركيل : ميليزاند ..

ميليزاند : أهذا أنت جدى ؟

اركيل : نعم ، يا ابنتى .. ماذا تريدين أن أفعل ؟

ميليزاند : أحقا أن الشتاء قد بدأ ؟

اركيل : لماذا تسألين هذا السؤال ؟

ميليزاند : لأن الجو بارد ، وأصبحت الأشجار جرداء ..

اركيل : هل تشعرين ببرد ؟ — أتريدين أن تقفل النوافذ ؟

ميليزاند : لا ، لا .. حتى تكون الشمس فى أعماق البحر . — انها تهبط فى بطء .. اذن أهذا هو الشتاء الذى يبدأ ؟

اركيل : نعم — لا تحبين الشتاء ؟

ميليزاند : واها ! لا ! .. أخاف البرد — آه ! أخاف البرد الشديد ..

أركيل : أتشعرين أن صحتك أحسن من قبل ؟

ميليزاند : نعم ، نعم ؛ لم يعد عندى شىء من هذا القلق ..

أركيل : أتريدين رؤية طفلك ؟

ميليزاند : أى طفل ؟

أركيل : طفلك — أنت أم .. قد وضعت بنتا صغيرة ..

ميليزاند : أين هى ؟

أركيل : هنـا ..

ميليزاند : أمـر عجيب .. لا يمكننى أن أرفع ذراعى لأتناولها ..

أركيل : ذلك أنك لازلت ضعيفة جدا .. سأمسكها أنا بنفسى ، انظرى ..

ميليزاند : هى لا تضحك .. هى صغيرة .. ستبكى أيضا .. أنا أرثى لها ..

(قليلا قليلا تغزو خادمات القصر الحجرة ، يقفن صفوفا فى صمت على طول الجدران، وينتظرن) .

جولو : ماذا جرى ؟ — وهؤلاء النسوة جميعا فيم جئن ؟

الطبيب : هن الخادمات ..

أركيل : من الذى دعاهن ؟

الطبيب : لست أنا ..

جولو : لماذا أتيتن الى هنا ؟ — لم يطلبكن أحد .. لأى شىء مجيئكن هنا ؟ — ما السبب ؟ — أجبن ! ..

(لا تجيب الخادمات)

أركيل : لا تتحدثوا بصوت مرتفع .. انها ستنام ؛ هى تغمض عينيها .

جولو : أليست هذه ؟ ... علائم ؟

الطبيب : لا ، لا ؛ انظر ، هى تتنفس ..

أركيل : عيناها مليئتان بالدموع — الآن روحها هى التى تبكى .. لماذا تمهد هكذا ذراعيها ؟ — ماذا تريد ؟

الطبيب : لعلها تمدهما نحو طفلها . هو صراع الأم ضد الموت ..

جولو : هل حلت النهاية ؟ — هل حلت النهاية ؟ — ينبغى أن تصارحنى ، قل ! قل !

الطبيب : قد تكون النهاية قد حلت ..

جولو : أو قد حلت النهاية فجأة ؟ .. أواه ! أواه !

يجب أن أقول لها .. — ميليزاند ! ميليزاند ! .. دعونى وحيدا ! .. دعونى وحيدا معها ! ..

أركيل : لا ، لا ، لا تقترب .. لا تزعجها .. لا تعاود كلامها .. أنت لا تعرف أى شىء هى الروح ..

جولو : تغمض عينيها .

أركيل : حذار .. حذار .. يجب أن تتحدث بصوت خفيض — يجب ألا تقلقها .. الروح الانسانية جد صامتة .. الروح الانسانية تحب أن ترحل منفردة .. هى تعانى على استحياء .. ولكن الحزن ، يا جولو .. ولكن الحزن لكل ما تبصره العين ! .. أواه ! أواه ! أواه ! ..

(فى هذه اللحظة ، كل الخادمات فجاءة جاثيات على ركبتهن فى آخر الحجرة) .

أركيل : ماذا أجد ؟

الطبيب : هن على صواب .

(صمت طويل)

أركيل : لم أر شيئا — أأنت واثق ؟ ..

الطبيب : نعم ، نعم ..

أركيل : لم أسمع شيئا .. فى سرعة بالغة ، سرعة بالغة ..

فجاءة .. تذهب دون أن تقول شيئا ..

جولو : أواه ! أواه ! أواه !

اركيل : لا تبق هنا ، يا جولو .. هى الآن فى حاجة الى الصمت .. تعال ، تعال .. هذه نكبة صماء ، ولكنه ليس خطأك .. كانت مخلوقا وديعا كل الوداعة ، حييا كل الحياء ، صـــموتا كل الصمت .. كانت مخلوقا مسكينا صغيرا غامضا ، مثل كل الناس .. ها هى ذى أمامنـــا ، كما لو كانت الأخت الكبرى لطفلها .. تعال ، تعال .. يا الهى ! يا الهى ! .. لن أفهم من الأمر شيئا أنا أيضا .. فلننصرف — تعالوا ، ينبغى ألا تبقى الطفلة فى هذه الحجرة .. يجب أن تعيش ، الآن ، بدلا منها .. تعيش بدورها هذه الطفلة المسكينة .

(يخرجون فى صمت) .

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٤٢ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلوبى	سمرست موم
٦	الغريبان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ا . ر . لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شين أوكاسى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برنارد شو
٣٢	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧	سيجفريد	جان چيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجر الدردار	يوجين أونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خطاياهم	سومرست موم
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة
ويطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار القلم للملايين ببيروت .